

أصحاب النفوس المطمئنة

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٩٨ م - ١٤١٩ هـ

الناشر : المكتب المصرى الحديث

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء تليفون: ٣٩٣٤١٢٧

الإسكندرية : ٧ شارع نوبار المنشية تليفون : ٤٨٤٦٦٠٢

( فاكس: ٣٤٧٥٤٢٧ / ٠٠٢٠٢ )

المطابع: الكيلو ١٠ طريق مصر إسكندرية الزراعى شبرا الخيمة

تليفون : ٤٤٤١٠٧٠ - ٤٤٤١٠٧٤ - فاكس: ٤٤٤١٠٧٧

عبدحميد كشك

أصحاب النفوس المطمئنة

المكتبة المصرية الحديث



يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ  
أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً  
مَّرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي  
وَادْخُلِي جَنَّتِي .

(قرآن کریم)



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأصلى وأسلم صلاة وتسليماً يليقان بمقام  
أمير الأنبياء وإمام المرسلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ،  
وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا محمداً رسول الله ، خاتم الأنبياء  
 والمرسلين . صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبي الأمين ، وعلى آله  
 وصحابه الغر الميامين ، وارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات  
 المسلمين أجمعين .

أما بعد . .

فإن موضوع كتابنا هذا له أهميته في إيمان المؤمنين الذين امتلأت  
قلوبهم إيماناً بالله ، وتصديقاً بما جاء به نبي الله ﷺ

إلى الذين رضوا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله  
عليه وسلم نبياً ورسولاً .

هذا الموضوع يدور حول قضية من قضايا الفكر الإسلامي ،  
ألا وهي تعلق الروح بالبدن .

ليس ثمة أدنى شك أن الإنسان روح وبدن ، ومن كليهما تقوم  
حقيقته . فما الإنسان في جيل إلا ذرة في فضاء ، وما الجيل في زمان  
إلا لبنة في بناء ، وما الزمان إلا مقدمة محدودة لعالم البقاء .

اعلم وفقنى الله وإياك أن لروح خمسة تعلقات بالبدن :



## التعليق الأول

تعلقها به في عالم الأجنة ، حيث مستقر الأرحام ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ) .

إن من الحقائق الثابتة أن أحدنا يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يأمر الله الملك الموكل بالأرحام أن يكتب له رزقه وأجله وعمله ، وشقى هو أم سعيد ، وهذا بعد أن تنفخ الروح فيه ، وهذا أول تعلق للروح بالبدن ، وهو في عالم الأجنة .

( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ) .

## التعليق الثاني

وجاء الوقت المعلوم الذي تقلصت فيه عضلات الرحم ، فأصبح الإنسان ضيفاً ثقيلاً ، وجاء الإذن من الله بالتحرك من ضيق الرحم وظلماته .

ما الرحم ؟

وما الرحم إلا كيس عضلي كثري الشكل يبلغ طوله سبعة من السنتيمترات وعرضه خمسة من السنتيمترات ، وسمكه اثنان ونصف من السنتيمترات ، يقع خلف المثانة أمام المستقيم .

نعم : ( هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ) .

يا ابن آدم :

أنت الذي ولدتك أمك باكباً

والناس حولك يضحكون سروراً

فاعمد إلى عملك تكون إذا بكوا

في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

سبحان الخالق الواحد الذي يقول : ( إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ) .

وجئت يا ابن آدم إلى الدنيا ، فباشرت الروح التعلق الثاني ببدنك ، وطلعت الأرض مشرقاً ومغرباً ، تسعى وراء المال وجمعه ، ثم بعد ذلك كنت حريصاً على التسك بالدنيا ، مهما كان هواؤها سموماً ، وطعامها زقوماً ، وماؤها آسنأ ونسيت أن وراءك يوماً يجعل الولدان شياً .

### التعليق الثالث

وهو تعلق الروح بالبدن عند النوم ، فإنك وأنت نائم يكون للروح تعلق من وجه ، وسبحات في أرجاء الكون من وجه آخر ، فإذا ما انتهى الأجل أمسك الله الروح عنده ، وإن كان هناك بقية أرسل الله الروح لتباشر البدن في اليقظة .

قال عز من قائل ( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) .

### التعليق الرابع

وهو تعلق الروح بالبدن بعد الموت .  
وهنا يجدر بنا أن نقف وقفة فيها تأمل في الموت ، إذ أنه الحقيقة التي لا مرأى فيها .

فما الموت ؟

الموت فلسفة حارت فيها عقول المفكرين ، ووقفت واجمة حياها عبقریات البارعين .

قال الله تبارك وتعالى ( فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم . إن هذا هو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم ) .

## حديث الغزالي عن الموت

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضى الله عنه عن الموت :

« الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر به ظهور الأكاسرة ، وقصر به آمال القياصرة ، الذين لم تنزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم فى الحافرة ، فنقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد ، ومن ملاعبة الجوارى والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التمتع بالطعام والشراب إلى التمرغ فى التراب ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل ، فانظر هل وجدوا من الموت حصناً وعزاً ، واتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً ، وانظر هل نحس منهم من أحد أو نسمع لهم ركزاً ؟ فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء ، واستأثر باستحقاق البقاء ، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من القضاء ، ثم جعل الموت مخلصاً للأشقياء ، وموعداً فى حقهم

للقاء ، وجعل القبر سجنًا للأشقياء وحبساً ضيقاً عليهم إلى يوم الفصل والقضاء ، فله الإنعام بالنعم الظاهرة ، وله الانتقام بالنقم القاهرة ، وله الشكر في السماوات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة ، والصلاة على محمد ذى المعجزات الظاهرة ، والآيات الباهرة ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

فجدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة مواعده ، والجنة والنور مورده ، ألا يكون له فكر إلا في الموت ، ولا ذكر إلا له ، ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبير إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا تعريج إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا عول إلا حوله ، ولا انتظار وتربص إلا له ، وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ، ويراهما في أتحاب القبور ، فإن كل ما هو آت قريب ، والبعيد ما ليس بآت ، وقد قال ﷺ « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له ، والنظر في المنبهات عليه » أه .

## سكرات الموت

( ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ) .

تالله لو عاش الفتى في دهره      ألفاً من الأعوام مالك أمره  
متنعماً فيها بكل نفيسة      متلذذاً فيها بنعمى عصره  
لا يعتريه السقم فيها مرة      كلا ولا ترد الهموم بباله  
ما كان هذا كله في أن يني      بمبيت أول ليلة في قبره

قال العارف بالله أبو حازم لسليمان بن عبد الملك ، وهو يسأله :  
لماذا نحب الدنيا ونكره الآخرة يا أبا حازم ؟

فقال العارف بالله : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، والنفس  
لا تحب الخروج من العمار إلى الخراب .

قال له : فتى تذكرنا يا أبا حازم ؟  
قال له : يوم ننسى الله .

قال سليمان : فلم لا تأتينا ؟

قال أبو حازم : لأننا نأتى باب الله .

قال سليمان : تمن على أعطاك .

قال أبو حازم : لا تستطيع ذلك .

قال سليمان : سل .

قال أبو حازم : أأستطيع أن تدخلني الجنة وتبعدني عن النار ؟

قال سليمان : لا أستطيع ذلك .

قال أبو حازم : فدعني مع الذي يستطيع ذلك .

\* \* \*

اعلم أخا الإسلام أن الدنيا إلى شتات ، وكل جى إلى ممات ، والعاقل هو الذى يستعد لسكرات الموت .

وللإمام الغزالي رحمه الله كلام عجيب فى هذا الباب يقول فيه :

« اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنقص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ، ويفارقه سهوه وغفلته ، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ، ويعظم له استعدادده ، لاسيما وهو فى كل نفس بصددده ، كما قال بعض الحكماء : كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك .

وقال لقمان لابنه : يا بني أمر لا تدري متى يلقاك ، استعد له قبل أن يفجأك ، والعجب أن الإنسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو ، فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته ، وفسد عليه عيشه ، وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات الفزع ، وهو عنه غافل ، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور .

واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ، ومن لم يذوقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها . . وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزاع على شدة ما هم فيه . فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم . فإذا كان فيه الروح فالمدرّك للألم هو الروح ، فهما أصاب العضو جرح أو حريق أو سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم ، والألم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء ، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم . فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده ، والنزع عبارة عن موئلم نزل بنفس الروح ، فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم .

ويضرب الإمام الغزالي مثالا لذلك فيقول :

« فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده في جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة » .

ثم يقول : « فألم النزاع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه ، فإنه المنزوع المحذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ، ومفصل من المفصل ، ومن أصل كل شعرة وبشرة من المفرق إلى القدم ، فلا تسأل عن كربته وألمه حتى قالوا إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ، ونشر بالمنشير ، وقرض بالمقاريض ، لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح ، فكيف



إذا كان المتناول المباشر نفس الروح ، وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه ، وتصاعد على قلبه ، وبلغ كل موضع منه ، فهد كل قوة ، وضعف كل جارحة ، فلم يترك له قوة الاستغاثة .

## الأعضاء عند سكرات الموت

قال الغزالي رحمه الله تعالى :

أما العقل فقد غشيه الموت وشوشه ، وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد ضعفها ، ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ، ولكنه لا يقدر على ذلك ، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره ، وقد تغير لونه وأربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته ، وقد جذب منه كل عرق على حياله ، فالألم منتشر في داخله وخارجه ، حتى ترتفع الحديقتان إلى أعالي أجفانه ، وتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله ، وترتفع الأثنيان إلى أعالي موضعهما ، وتخضر أنامله ، فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ، ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً ، فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد ، بل من جميع العروق ، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجياً ، فتبرد أولاً قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فخذه ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة ، وكربة بعد كربة ، حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ، ويغلق دونه باب التوبة :

وتحيط به الحسرة والندامة . قال رسول الله ﷺ « تقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .

وقال مجاهد في قوله تعالى ( وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ) قال : إذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم هون على محمد سكرات الموت » .

والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به ، فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت ، حتى قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحوارين أدعو الله تعالى أن يهون على هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة كأنما أوقفني خوفاً من الموت على الموت .

وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فقال : تكلمى بإذن الله : فقالت : يا روح الله أنا ملك زمانى كذا وكذا ، بينما أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشى على سرير ملكى إذ بدا لى ملك الموت ، فزال منى كل عضو على حياله ، ثم خرجت نفشى إليه ، فياليت ما كان من تلك الجموع ، كان فرقة ، ويا ليت

ما كان من ذلك الأنس ، كان وحشة ، فهذه داهية يلقاها العصاة  
ويكفأها المطيعون ، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة  
التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت .

## رؤية المطيع لملك الموت

أما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها ، فقد روى عكرمة  
عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلاً غيوراً ، وكان له بيت  
يتعبد فيه ، فإذا خرج أغلقه ، فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف  
البيت ، فقال من أدخلك داري ، فقال : أدخلنيها ربها ، فقال :  
أنا ربها ( أى صاحبها ) فقال : أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك ،  
فقال من أنت ؟ من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت ، قال : هل تستطيع  
أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، فأعرض  
عني ، فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن  
ثيابه ، وطيب ريحه ، فقال : يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت  
إلا صورتك كان حسبه .

## رؤية الملكين الحافظين

قال وهيب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يترأى له ملكاه  
الكاتبان عمله ، فإن كان مطيعاً قالوا له : جزاك الله عنا خيراً ، فرب  
مجلس صدق أجلسنا ، وعمل صالح أحضرنا ، وإن كان فاجراً  
قالا له : لا جزاك الله عنا خيراً ، فرب مجلس سوء أجلسنا ، وعمل  
غير صالح أحضرنا ، وكلام قبح أسمعنا ، فلا جزاك الله عنا خيراً .

## الميت يعرف أين مقعده

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

اعلم — وفقنى الله وإياك — أن ابن آدم إذا نام على فراش الموت ، استشف ما وراء الحجب ، فرأى مقعده من الجنة كما قال الله تبارك وتعالى : ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ) .

وقد يرى مقعده من النار إن كان غير ذلك . قال تعالى ( ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم ترعمون )

ولقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تشرح هذه المعانى بما لا يدع مجالاً للشبهة ، أو ظلالاً للشك .

روى ابن أبي الدنيا في الموت عن علي موقوفاً « لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار » .

وفي رواية « حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار » .

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يشهد لذلك . قال عليه السلام « إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته . وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته » .

وقال عليه السلام « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقالوا كلنا نكره الموت . قال ليس ذاك بذاك ، إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه » .

وروى في الحديث عن النبي عليه السلام أنه قال « إن الله إذا رضى عن عبد قال : يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحه جنبي من عمله ، قد بلوته فوجدته حيث أحب . فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه ، وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان ، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ ، قال : فيقول له جنوده : مالك :

يا سيدينا ؟ فيقول : أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة ؟ أين كنتم من هذا ، قالوا : قد جهدنا به فكان معصوماً .

وقال الحسن رضى الله عنه : لا راحة للمؤمن إلا فى لقاء الله ، ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فى يوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه .

وقيل لجابر بن زيد عند الموت : ما تشهى ؟ قال : نظرة إلى الحسن ، فلما دخل عليه الحسن قيل له : هذا الحسن ، فرفع طرفه إليه ثم قال : يا إخواناه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة .

وقال محمد بن واسع عند الموت : يا إخواناه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله .

وتمنى بعضهم أن يبقى فى النزع أبداً ولا يبعث لثواب ولا عقاب .

## الموت حق على جميع العباد

( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ) .

المتأمل في آى القرآن الكريم يلمح أن الآيات الدالة على الفناء موجبة كلية في قضايها ، أى أنها مسورة بسور كلى لم يتقدمه أى أداة نفي .

وتطبيقاً لهذه القاعدة نذكر الشواهد :

قال تعالى ( كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) .

وقال جل شأنه ( كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ) .

وقال تبارك وتعالى ( كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ) .

وقال عز من قائل ( كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ) .

وقال تبارك اسمه ( كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) .

ولو كان هناك خلود لأحد لكان الأولى بالخلود النبي العظيم ﷺ ، ولكنه انتقل من هذه الدار الفانية إلى دار الآخرة الباقية .

### وفاة النبي ﷺ

ولما لهذه القضية من أثر له عمقه في النفس ، طالما اهتزت له أعواد المنابر ، ووصل رنينه إلى أعماق القلوب ، فإننا نذكر حادث وفاة النبي ﷺ كما ذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه ( إحياء علوم الدين ) .

قال رحمه الله :

اعلم أن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حياً وميتاً ، وفعلاً وقولاً ، وجميع أحواله عبرة للناظرين ، وتبصرة للمستبصرين ، إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه ، إذ كان خليل الله وحبيه ونبيه ، وكان صفيه ورسوله ونبيه ، فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته ، وهل أخره لحظة بعد حضور منيته ؟ لا ، بل أرسل إليه الملائكة الكرام



الموكلين بقبض أرواح الأنام ، مجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها ، وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان ، بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن ، فاشتد مع ذلك في النزاع كربه ، وظهر أنينه وترادف قلقه ، وارتفع حنينه وتغير لونه ، وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه ، حتى بكى لمصرعه من حضره ، وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره ، فهل رأيت منصب النبوة دافعاً عنه مقدرأ . أو هل راقب الملك فيه أهلاً وعشيرأ ، وهل ساعحه إذ كان للحق نصيراً ، وللخلق بشيراً ونذيراً ؟ هيات بل امثل ما كان به مأموراً ، واتبع ما وجده في اللوح مسطورأ . فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود ، والحوض المورود ، وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وهو صاحب الشفاعة يوم العرض . فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه ، بل نحن أسراء الشهوات ، وقرناء المعاصي والسيئات . فإبالتا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحيب رب العالمين ، لعلنا نظن أننا مخلصون ، أو نتوهم مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون ، هيات هيات ، بل نتيقن أنا جميعاً على النار واردون ، ثم لا ينجو منها إلا المتقون ، فنحن للورود مستيقنون ، وللصدور عنها متوهمون ، لا ، بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين ، فإ نحن والله من المتقين ، وقد قال الله رب العالمين ( وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ) .

فليُنظر كل عبد إلى نفسه إنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين .

فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين . فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين . ثم انظر إلى سيد المرسلين ، فإنه كان من أمره على يقين ، إذ كان سيد النبيين ، وقائد المتقين ، واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا ، وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى .

قال ابن مسعود رضى الله عنه ، دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال : « مرحباً بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله إني لكم نذير مبين . ألا تعلموا على الله في بلاده وعباده ، وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى ، وإلى جنة المأوى ، وإلى الكأس الأوفى ، فاقرعوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله .

وروى أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته « من لأمتي بعدى ؟ فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أنى لا أخذه في أمته ، وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا ، وسيدهم إذا جمعوا ، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته ، فقال : الآن قرت عيني . »

وقالت عائشة رضى الله عنها ، أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله  
ب سبع قرب من سبعة آبار ، ففعلنا ذلك ، فوجد راحة ، فخرج فصلى  
بالناس واستغفر لأهل أحد ، ودعاهم ، وأوصى بالأنصار فقال :

« أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار  
لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم ، وإن الأنصار عيتي التي أويت  
إليها ، فأكرموا كريمهم ، يعنى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم .  
ثم قال : إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله .  
فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن أنه يريد نفسه . فقال النبي ﷺ :  
على رسلك يا أبا بكر ، سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد  
إلا باب أبي بكر ، فإنى لا أعلم امرأ أفضل عندى في الصحبة من  
أبي بكر » .

قالت عائشة رضى الله عنها « فقبض ﷺ في بيتي وفي يومى  
وبين صحرى ونحرى ، وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت ، فدخل  
على أخى عبد الرحمن ويده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه  
ذلك ، فقلت له : آخذه لك ؟ فأوماً برأسه أن نعم ، فناولته إياه فأدخله  
في فيه ، فاشتد عليه ، فقلت ألينه لك ؟ فأوماً برأسه أن نعم ، فلينته .  
وكان بين يديه ركوة ماء ، فجعل يدخل فيها يده ويقول : لا إله إلا الله  
إن للموت لسكرات ، ثم نصب يده يقول : الرفيق الأعلى الرفيق  
الأعلى ، فقلت : إذن والله لا يختارنا » .

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال : لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس رضى الله عنه على النبي ﷺ فأعلم بمكانهم وإشفاقهم ، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثله ، فدعاه وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون ؟ قالوا : نقول نخشى أن تموت وتصابيح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ، فثار رسول الله ﷺ ، فخرج متوكئاً على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثاب الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت ، وما تنكرون من موت نبيكم ، ألم أنع إليكم وتنعي إليكم أنفسكم ، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ؟ ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به ، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم ، فإن الله عز وجل قال : ( والعصر . إن الإنسان لئى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) وإن الأمور تجري بإذن الله ، فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه - فهل عسى إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم - وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم ، أن تحسنوا إليهم . ألم يشاطروكم الثمار ؟ ألم يوسعوا عليكم في الديار ؟ ألم يوثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين

فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئتهم ، ألا ولا تستأثروا عليهم ،  
ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ، ألا وإن موعدكم الحوض ،  
حوضي أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن ، يصب فيه ميزاب  
الكوثر ماء أشد بياضاً من اللبن وألين من الزبد ، وأحلى من الشهد ،  
من شرب منه لم يظمأ أبداً ، حصباؤه الأولو ، وبطحاؤه المسك ، من  
حرمه في الموقف غداً حرم الخير كله . ألا فمن أحب أن يرده على غداً  
فليكفف لسانه ويده ، إلا مما ينبغي . فقال العباس : يا نبي الله أوص  
بقريش ، فقال : إنما أوصي بهذا الأمر قريشاً والناس تبع لقريش ،  
برهم لبرهم ، وفاجرهم لفاجرهم ، فاستوصوا آل قريش بالناس  
خيراً . يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم ، وتبدل القسم ، فإذا بر  
الناس برهم أتمتهم ، وإذا فجر الناس عقوهم . قال الله تعالى « وكذلك  
نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » .

وروى ابن مسعود رضي الله عنه « أن النبي ﷺ قال لأبي بكر  
رضي الله عنه : سل يا أبا بكر ، فقال يا رسول الله دنا الأجل ؟ فقال :  
قد دنا الأجل وتدلى . فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله ، فليت شعري  
عن منقلبتنا . فقال إلى الله وإلى سدرة المنتهى ، ثم إلى جنة المأوى ،  
والفردوس الأعلى ، والكأس الأوفى ، والرفيق الأعلى ، والخط  
والعيش المهنأ . فقال يا نبي الله من يلي غسلك ؟ قال : رجال من أهل  
بيتي الأدنى فالأدنى . قال : فقيم نكفئك ؟ فقال : في ثيابي هذه ،  
وفي حلة ممانية ، وفي بياض مصر ، فقال : كيف الصلاة عليك منا ؟  
وبكينا وبكى ، ثم قال : مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً ،

إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ، ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي على الله عز وجل - ( هو الذي يصلي عليكم وملائكته ) ثم يأذن الله للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلي على جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ، ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين . ثم أنتم ، فادخلوا على أفواجاً فصلوا على أفواجاً زمرة زمرة وسلموا تسليماً ولا تؤذوني ، بتزكية ولا صيحة ولا رنة ، وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأئمة فالأئمة ، ثم زمر النساء ، ثم زمر الصبيان .

قال : فمن يدخلك القبر ؟ قال : زمر من أهل بيتي الأئمة فالأئمة مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم . قوموا فأدوا عني إلى من بعدى .

\* \* \*

وقال عبد الله بن زمعة : جاء بلال في أول شهر ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله ﷺ : مروا أبا بكر يصلي بالناس ، فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر ، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر ، فلما كبر وكان رجلاً صيئاً سمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير ، فقال أين أبو بكر يأتي

الله ذلك والمسلمون ، قالها ثلاث مرات : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام في مقامك غلبه البكاء ، فقال إنكن صويحبات يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قال فضلى أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر ، فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك : ويحك ماذا صنعت بي ، والله لولا أن ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك ما فعلت ، فيقول عبد الله : إني لم أر أحداً أولى بذلك منك ، قالت عائشة رضى الله عنها : وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبي بكر إلا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة ، إلا من سلم الله ، وخشيت أيضاً ألا يكون الناس يحبون رجلاً صلى في مقام النبي ﷺ وهو حي أبداً إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به ، فإذا أمر أمر الله ، والقضاء قضاؤه ، وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين .

وقالت عائشة رضى الله عنها : فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء ، فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك .

قال رسول الله ﷺ « أخرجني عنى ، هذا الملك يستأذن على ، فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى . فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلاً ثم إنه دعائى فأعادوا رأسه فى حجرى ، وقال للنسوة : أدخلن ، فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله ﷺ : أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى ، فقال : إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى ألا أدخل عليك إلا بإذن ، فإن لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت ، وأمرنى ألا أقبضك حتى تأمرنى ، فإذا أمرك ، فقلت : أكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام ، فهذه ساعة جبريل ، فقالت عائشة رضى الله عنها : فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى ، فوجمنا وكأنا ضربنا بصاخرة ما نخرج إليه شيئاً ، وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظماً لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا . قالت : وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه ، خرج أهل البيت فدخل فقال : إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجددك وهو أعلم بالذى تجدد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً ، وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق ، وأن تكون سنة فى أمتك ، فقال أجدنى وجعاً ، فقال : أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك ، فقال : يا جبريل إن ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر ، فقال جبريل : يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك ؟ لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق ، قال فلا تبرح إذن حتى يحىء ، وأذن للنساء فقال يا فاطمة أدن ، فأكبت



عليه ، ففناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ، ثم قال : أدن مني رأسك فأكبت عليه ففناجاها ، فرفعت رأسها وهي تضحك ، وما تطيق الكلام ، فكان الذي رأينا منها عجبا ، فسألها بعد ذلك فقالت : أخبرني وقال إني ميت اليوم فبكيت ، ثم قال : إني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي وأن يجعلك معي فضحكت ، وأدنت أبنها منه فشهما . قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد ؟ قال ألحقني بربي الآن ، فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ، ولم ينهي عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ، ولكن ساعتك أمامك وخرج . قالت : وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبداً ، طوى الوحي وطوى الدنيا ، وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ، وما لي فيها حاجة إلا حضورك ؟ ثم ازوم موقفي ، لا والذي بعث محمداً بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة ، ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا .

قالت : فقممت إلى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدرة وجعل يغمي عليه حتى يغلب وجهته ترشح رشحا ما رأيته من إنسان قط ، فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء أطيب منه ، فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جهنك من الرشح ؟ فقال : يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شذقيه كنفس الحمار ، فعند ذلك

ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا ، فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثه إلى أبي ، فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجي أحد ، وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل ، وجعل إذا أغمى عليه قال بل الرفيق الأعلى ، كأن الخيرة تعاد عليه ، فإذا أطلق الكلام قال « الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعاً ، الصلاة الصلاة ، كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة » .

قالت عائشة رضي الله عنها : مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الإثنين . رواه ابن عبد البر .

### موقف الصحابة بعد وفاة الرسول

روى أن عمر بعد ما لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى قال : يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ فإنه لم يمت ، والله والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قد مات إلا علوته بسيفي هذا . وأما على فإنه أقعد فلم يبرح في البيت ، وأما عثمان فجعل لا يكلم أحداً ، يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أبدهما التوفيق والسداد ، وإن كان الناس لم يرعوا إلا بقول أبي بكر ، حتى جاء العباس فقال : والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ، ولقد قال وهو بين أظهركم ( إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) - وبلغ أبا بكر الخبر ، وهو في بني النحر

ابن الخزرج ، فجاء ودخل على رسول الله ﷺ ، فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين ، فقد والله توفي رسول الله ﷺ ، ثم خرج إلى الناس فقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت . قال الله تعالى ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ) الآية ، فكأن الناس لم يسمعوها هذه الآية إلا يومئذ .

واستوفى القمعاق بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضى الله عنه فقال : قام أبو بكر في الناس خطيباً حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه على كل حال ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فله الحمد وحده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخاتم أنبيائه ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين . اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ، ونيبك وحيبيك ، وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك . اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين ، محمد قائد الخير وإمام الخير ، ورسول الرحمة . اللهم قرب زلفته ، وعظم برهانه ، وكرم مقامه ، وابعثه مقاماً محموداً ، يغبطه به الأولون والآخرون ، وانفعنا بمقامه محمود

يوم القيامة ، واخلفه فينا في الدنيا والآخرة ، وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة . اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك حميد مجيد . أيها الناس : إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً ، فإن الله عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ﷺ ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط - ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم ، وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم .

وقال ابن عباس : لما فرغ أبو بكر من خطبته قال : يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله ﷺ ؟ أما ترى أن نبي الله ﷺ قال يوم كذا : كذا وكذا ؟ ويوم كذا : كذا وكذا ؟ وقال تعالى في كتابه - ( إنك ميت وإنهم ميتون ) ؟ فقال : والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن ، لما نزل بنا ، أشهد أن الكتاب كما أنزل ، وأن الحديث كما حدث ، وأن الله حي لا يموت . إنا لله وإنا إليه راجعون ، وصلوات الله على رسوله . وعند الله نحتسب رسوله ﷺ ، ثم جلس إلى أبي بكر .

## كيف غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

جاء في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي : أن عائشة رضي الله عنها قالت : لما اجتمعوا لغسله قالوا : والله ما ندرى كيف نغسل رسول الله ﷺ . أنجوده من ثيابه كما نصنع بموتانا ، أو نغسله في ثيابه . قالت : فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائماً ، ثم قال قائل لا يدرى من هو : غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، فانتبهوا ففعلوا ذلك . فغسل رسول الله ﷺ في قيصه ، حتى إذا فرغوا من غسله كفن . وقال على كرم الله وجهه : أردنا خلع قيصه فنودينا : لا تخلعوا عن رسول الله ﷺ ثيابه ، فأقررناه ، فغسلناه في قيصه كما نغسل موتانا ، مستلقياً ، ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه ، وإن معنا لحفيماً في البيت كالريح الرخاء ، ويصوت بنا أرفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستكفون ، فكهذا كانت وفاة رسول الله ﷺ ولم يترك سبداً ولا لبداءً إلا دفن معه . انتهى .

## لنا في موت رسول الله عبرة

وهكذا نام رسول الله ﷺ على فراش المرض ، وهكذا جاءت سكرات الموت بالحق .

وهكذا كان يقول « سبحان الله إن للموت لسكرات » .

وهكذا كان يدعو : اللهم هون على سكرات الموت .

وهكذا كانت ريحانته فاطمة الزهراء تقول : وا كرباه على كربك يا أبتاه .

وهكذا كان يرد عليها أبوها الرحيم « يا فاطمة لا كرب على أبيك بعد اليوم » .

وهكذا لحق بالرفيق الأعلى . وغشيت عمر من هول المصاب غاشية حتى جاء أبو بكر ودخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى حيث كشف الغطاء عن الوجه الأقر ، وقبل الجبين الأزهر قبله الوداع . وقال : طبت حياً وميتاً يا رسول الله ، أما الموتة التي كتبها الله عليه فقد ذقتها ولن تذوق الموت بعدها أبداً ، وخرج على الناس يعلن هذا البيان الذي يعتبر من أشد ما قال الصديق ، وهو الذي قضى حياته يحنو على رسول الله ﷺ ، يرش بعطفه جناحه ، ويأسو بحنانه جراحه ، ولكن الموت لا مجاملة فيه ، لا يقبل المساومة ولا أنصاف الحلول . لقد شاء الله أن يكون أبو بكر الصديق هو الذي يقف ليقول للمسلمين « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » .

إن هناك فرقاً بعد وفاة رسول الله ﷺ بين موقف أبي بكر وعمر . فعمر يتلقى النبأ وكأنه محموم فيتململ تمللم السليم ، ويبكي بكاء اليتيم ، فقد نظر إلى النبأ بعين العاطفة . أما أبو بكر فقد نظر إليه بعين العقل ، والواقع الذى لا يقبل التغير ، فوقف فى ثبات الجبال ، وقوة الإيمان ، يعلنها فى سمع الزمان صريحة مدوية ، لا لبس فيها ولا غموض « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » .

يرحمك الله يا من ربيت هؤلاء العباقره . يا رسول الله .

نعم يا أبا بكر ، إن الله حى لا يموت . ولقد علم النبي ﷺ بالمصير المحتوم عندما نزل عليه قول الله تعالى : ( إنك ميت ولهم ميتون ) .

وعندما قرأ قوله تعالى : ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ) .

وعندما قرأ قوله جل شأنه ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ) .

نعم يا سيدى يا رسول الله . يا من نزل عليك الأمين جبريل ذات يوم فقال لك « يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه . واعلم بأن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » .

## البقاء لله وحده

لو كان هناك أحد سيخلد في هذه الدنيا لكان الأولى بالخلود سيد البشر ﷺ ، ولكنه لحق بالرفيق الأعلى ، وانتقل من دار الفناء إلى دار الخلود والبقاء .

والم تأمل آيات القرآن الكريم يجدها في هذه القضية قضية الموت موجبة كلية .

اسمع إلى قوله جل شأنه :

( كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) .

وقوله تبارك اسمه ( كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ) .

وقوله تبارك اسمه ( كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ) .

وقوله سبحانه وتعالى ( ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ) .



وقوله جل وعز : ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) .

فسبحان صاحب العزة القائمة ، والمملكة الدائمة . وسبحان ذى الملك والملكوت . والعزة والجبروت . والبقاء للحى الذى لا يموت .

تزود من التقوى فإنك لا تدري  
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر  
فكم من فنى أمسى وأصبح ضاحكاً  
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري  
وكم من عروس زينوها لزوجها  
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر  
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم  
وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر  
وكم من صحيح مات من غير علة  
وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

فالحمد لله المستحق لغايات التحميد ، المتوحد فى كبريائه من غير  
تكيف ولا تحديد . العلى القوى الولي الحميد . الغنى المغنى المبدىء  
المعبد ، المعطى الذى لا يفنى عطاؤه ولا يبئد ، المانع فلا معطى  
لما منع ، ولا راد لما يريد ، خلق الخلاق وسلوكهم أحسن الطريق ،  
إلى الأمر الرشيد ، وصورهم فأحسن صورهم وبشرهم فى الجنة  
بالنعيم والتخليد . وبصرهم بعين الاعتبار ، وحذرهم من عذاب

النار والوعيد . وألزمهم شكره ، وضمن لهم كنز فضله المزيـد .  
وحكم عليهم بالموت فما لأحد عنه محيص ولا محيد .

فكم أبكى خليلاً بفراق خليله . وكم أيتـم وليداً وشغله ببيكائه وعويله .  
فلم يغنه ذلك شيئاً عن أمر من يبدىء ويعيد ، ومن هو فعال لما يريد .

فسبحان من أذل بالموت من الجبابرة كل جبار عنيد ، وكسر به  
من الأكاسرة كل بطل صنديـد . أخرجهم من سعة القصور إلى ضيق  
القبور . وقطع جبل أمدهم المديد . أخذ به الآباء والجدود ، والأطفال  
من اليهود . فأسكنهم اللحد . وعفر وجوههم فى الصعيد . وسوى  
فى الموت بين الصغير والكبير . والغنى والفقر ، والمأمور والأمير ،  
والولد والوليد . أفنى به الذكور والإناث . فهم فى سجن الأجداث  
إلى يوم الوعيد .

أفلا يعتبر الغافل بمصرعهم . وقد أفناهم الموت بأجمعهم ، وفرق  
شملهم بالتبديد ؟

فكيف يغتر الإنسان وهو يعلم أن الله تعالى يملئ للظالم حتى إذا أخذه  
لم يفلته . ولم يكن عند محيد .

أما كانت نفوسهم بذلك عالمة ، وهى من الموت غير سالمة ( وكذلك  
أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ) :

أين أهل المدن والحصون ؟

أين أرباب المعانى والفنون ؟

أين المحصنون بكل حصن منيع . وقصر مشيد ؟  
أين الأمم ؟

أين أرباب القصور العالية ؟  
حق عليهم الوعيد .

فلو عاينتهم في قبورهم ، لعجبت من أمرهم .  
قد غير البلى أحوالهم ، ومزق أوصالهم ، ولم يعرف منهم الأحرار  
من العبيد .

أما أصبح منهم ذو الشدة والبأس بعد القرب والإيناس ، في ظلمة  
الحدود وحيد ؟

ما وعظهم الموت بمن أخذ من شقى وسعيد ، وقريب وبعيد ؟  
أما أنذرهم قول الملك الحميد ( وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك  
ما كنت منه تحيد ) .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « أتيت رسول الله ﷺ  
عاشر عشرة ، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله من أكيس الناس ؟  
قال : أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم لما بعده استعداداً . أولئك  
الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرم الآخرة » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « من  
أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

فقلت : يا رسول الله أكرهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت ؟ فقال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه . والكافر إذا بشر بعذاب الله وسمخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه .

وقال رسول الله ﷺ « لا يتمنن أحدكم الموت لضر أصابه . قال فإن كان لابد متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي » .

فاجتهد أيها العبد في العمل الصالح . وأشفق من كأس لابد أنك ذائقه . وازهد في عيش لابد أنك مفارقه . فما أنت بعد الموت إلا كما قال رسول الله ﷺ « ما الميت في قبره إلا كالغريق المتعب ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها » .

إن القبر يتناديك بلسان حاله ويقول : ويحك يا ابن آدم ما غرك بي . ألم تعلم أنني بيت الفتنة ، وبيت الظلمة ، وبيت الوحدة ، وبيت الدود ، وبيت التراب ؟

فإذا زرت القبور يا أخي فلا تقل إلا خيراً ، فإن الميت يتأذى بما يتأذى منه الحي . فما من رجل يمر على قبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام .

يا ابن آدم :

تتاجيك أموات وهن سكوت      وسكانها تحت التراب خفوت  
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة      لمن تجمع الدنيا وأنت تموت  
وإنكمو إذ ما علينا تسلموا      نرد عليكم واللسان صموت

### أبو حازم وسليمان بن عبد الملك

دخل العارف بالله أبو حازم رضى الله عنه على أمير المؤمنين سليمان  
ابن عبد الملك . فقال : يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟

قال : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون النقلة  
من العمران إلى الخراب .

قال : يا أبا حازم كيف القدوم على الله تعالى ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحاً ،  
وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه خائفاً محزوناً .

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله عليه : قلت لأم هارون العابدة .  
أتحبين أن تموتى ؟ قالت : لا . قلت : ولم ؟ قالت : والله لو عصيت  
مخلوقاً لاستحييت من لقائه ، فكيف الخالق جل جلاله ؟

ثم أنشدت :

وكيف يلذ العيش من هو عالم      بأن إله الخلق لا بد سائله  
فيأخذ منه ظلّمه لعباده      ويجزيه بالخير الذى هو فاعله

وكيف يُلذ العيش من كان سائراً إلى لحد قبر فيه تبلى شمائله  
وَلَقَدْ رَسَمَ الْوَجْهَ مِنْ بَعْدِ ضَوْئِهِ قَرِيباً وَيَبْلَى جِسْمَهُ وَمَقَاصِلَهُ

قال العارف بالله أبو بكر الكتاني رحمة الله عليه : كان رجل يحاسب  
نفسه على سيئاته وخطاياہ فحسب عمره بالسنوات والأيام ، فوجد  
ما مضى من عمره واحداً وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم ، فقال  
متألماً : يا ويلتاه ! ! وأنا آتى ربى بواحد وعشرين ألف ذنب  
 وخمسمائة ذنب . يقول : هذا لو كان فى كل يوم ذنب واحد فكيف  
بذنوب لا تحصى ؟ ثم قال :

آه على عمرت دنيای وخربت آخرتى ، وعصيت مولای الوهاب ،  
ثم أخشى النقلة من العمران إلى الخراب ، وكيف أقدم فى يوم الحساب  
على الكتاب والعذاب بلا عمل ولا ثواب .

ثم أنشد قائلاً :

منازل دنيای عمرتها وخربت دارى فى الآخرة  
فأصبحت أنكر دارى الخراب وأرغب فى دارى العامرة

### حسن الظن بالله

روى النبى ﷺ عن ربه تبارك وتعالى فى الحديث القدسى  
قال : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه  
ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم ،

وإن تقرب إلى بشر ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » رواه البخارى .

ما أكرمك يا مولانا ، وما أعظم شأنك وما أوسع رحمتك ،  
وما أبلغ حكمتك ! !

أنت الذى تهب الكثير ، وتجبر القلب الكسير ، وتغفر الزلات .

وتقول : هل من تائب مستغفر ، أو سائل أفضى له الحاجات ؟

روى البخارى بسنده المتصل عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ،  
عن النبي ﷺ — فيما يروى عن ربه عز وجل قال :

« إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها ، كتبها الله له عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

قال أبو عمر الضرير : حدثني سهل أخو حازم قال : رأيت مالك بن دينار فى المنام بعد موته فقلت له : يا أبا يحيى بماذا قدمت على الله عز وجل ؟ قال : قدمت عليه بذنوب كثيرة محاسن ظنى بالله عز وجل . ثم أنشد قائلا :

يظن الناس بي خيراً وإني لشر الناس إن لم تعف عني  
وما لي حيلة إلا رجائي وجودك إن عفوت وحسن ظني

وسئل بعض الزهاد : كيف حالك ؟ فقال : كيف حال من يريد  
سفرأ بلا زاد ، ويسكن قبرأ موحشأ بلا مؤنس ، ويقدم على مالك  
قادر بغير حجة ؟ ؟

يارب . .

تعطف بفضل منك يا مالك الورى  
فأنت ملاذى سيدى ومعينى  
لئن أبعدتنى عن حماك خطيئى  
فأنت رجائى شافعى ويقينى  
ولست أرى لى حجة أبتغى بها  
رضاك وإن العفو منك يقينى

### عثمان بن عفان يبكى

وقف عثمان بن عفان رضى الله عنه على قبر فبكى ، فقيل له :  
إنك تذكر الجنة والنار فلا تبكى — أو تبكى من هذا الموقف ؟ فقال :  
سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن القبر أول منزل من منازل  
الآخرة ، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه . وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه .

سلامى على أهل القبور الدوارس  
كأنهموا لم يجلسوا فى المجالس



ولم يشربوا من بارد الماء نهلة  
 ولم يطعموا من كل رطب ويابس  
 ولم يك منهم فى الحياة مناس  
 طويل المنى فيها كثير الوسوس  
 ألا ليت شعرى أين قبر ذليلكم  
 وقبر العزيز الشامخ المتشاوس  
 لقد سكنوا فى موحش الترب والثرى  
 فهام بها ما بين راج وآيس  
 ولو عقل المرء المنافس فى الذى  
 تركتم من الدنيا له لم يناس

### اصطلحوا مع الله

فى أخا الإسلام ، اشغل قلبك بذكر الله ، ولسانك بتلاوة القرآن ،  
 فإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد والنحاس ، وإن جلاءها ذكر الله .  
 فبادر بالأعمال الصالحة ، واعلم بأن الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة ،  
 والنفس طماعة ، عودها القناعة .

روى البخارى رضى الله عنه قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا  
 جرير ، عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة — رضى الله عنه —  
 قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن لله ملائكة ، يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم .

قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا .

قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - : ما يقول عبادي ؟

قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك .

فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون . لا ، والله ما رأوك .

قال : فيقول : وكيف لو رأوني ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً وتحميداً ، وأكثر تسبيحاً .

قال : فيقول : فما يسألونني ؟

قال : فيقولون : يسألونك الجنة ، قال : يقول . وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا ، والله يا رب ما رأوها ؟ قال : يقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة .

قال : فممن يتعوزون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون لا ، والله يا رب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟

قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة .

قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم .

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ، ليس منهم ، إنما جاء لحاجة .

قال : هم الجلساء ، لا يشقى بهم جليسهم .

### كلمات طيبة

هذه كلمات نسأل الله تبارك وتعالى أن يلهمنا إياها عند موتنا :

أخرج ابن ماجة في سننه في باب ( فضل لا إله إلا الله ) عن أبي إسحاق ، عن أبي الأغر عن أبي مسلم ، أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضى الله عنهما - أنهما شهدا على رسول الله - ﷺ - قال : « إذا قال العبد : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، قال : يقول الله - عز وجل - : صدق عبدي لا إله إلا أنا ، وأنا الله أكبر .

وإذا قال العبد : « لا إله إلا الله وحده ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلا أنا وحدي ، وإذا قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لى ، وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك ، وله الحمد ، قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا ، لى الملك لى الحمد . وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى » .

قال أبو إسحاق : « ثم قال الأغر شيئاً لم أفهمه ، قال فقلت لأبي جعفر ما قال ؟ فقال : من رزقهن عند موته لم تمسه النار » .

وأخرج النسائي في سننه في باب فضل الحامدين عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال : « يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، ولعظيم سلطانك . فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء وقالا : يا ربنا إن عبدك قال مقالة ، لا ندرى كيف نكتبها ؟ قال الله عز وجل - وهو أعلم بما قال عبده - ماذا قال عبدى ؟ قالوا : يا رب إنه قال : يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، فقال الله - عز وجل - لهما : اكتبها كما قال عبدى ، حتى يلقياني فأجزبه به » .

وروى مسلم ، قال حدثني محمد بن منثى ، وحدثني عبد الأعلى ، حدثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة - رضى الله عنهما - قالت : « كان رسول الله ﷺ يكثر من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ، فقلت : يا رسول الله ، أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ، فقال : خبرني ربى - عز وجل - أنى سأرى علامة فى أمتى ، فإذا رأيتهما أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ، فقد رأيتهما ( إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ) .

## من يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله

أخرج الترمذى فى جامعه عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول . أتتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبى الحافظون ؟ فيقول : لا ، يا رب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا ، يا رب ، فيقول : بلى ، إن لك حسنة فإنه لا ظم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : أحضر وزنك ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله أحد » .

أخرج الإمام الترمذى فى جامعه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - « ما من حافظين رفعاً إلى الله ما حفظا من ليل أو نهار ، فيجد الله فى أول الصحيفة وفى آخر الصحيفة خيراً ، إلا قال الله تعالى : أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » .

وروى الترمذى عن أنس - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ -  
قال : « يقول الله : أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً ، أو خافى فى  
مقام » .

فيا أخا الإسلام :

فرغ قلبك لله وحده ، واجعله دائماً مطمئناً بذكره ، وإياك أن  
يشتغل قلبك بسواه .

أخرج الإمام الترمذى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن  
النبي - ﷺ - قال : إن الله تعالى يقول : « يا ابن آدم ، تفرغ  
لعبادتى ، املأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإن تغفل ملأت يديك  
شغلا ، ولم أسد فقرك » .

إن الله تبارك وتعالى يباهى ملائكته المكرمين بما يأتى به العباد  
الصالحون من الخيرات والأعمال الطيبة .

أخرج الإمام النسائى فى سننه عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه -  
قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يعجب ربك من راعى  
غنم ، فى رأس شظية الجبل ، يؤذن بالصلاة ويصلى ، فيقول الله -  
عز وجل - : أنظروا إلى عبدى هذا ، يؤذن ويقيم الصلاة ، يخاف  
منى ، قد غفرت لعبدى ، وأدخلته الجنة » .

سبحانك ربى ما أكرمك ، وما أعظم شأنك ، وما أجود عطائك .

أنت الذى تقبل التوبة عن عبادك ، وتعفو عن السيئات ، وتغفر  
الزلات ، وتعطى السائلين ، وترشد الحائرين ، وتكشف الضر عن  
البائسين .

من وقف ببابك لا يخيب سعيه ، ومن توكل عليك لا يضل سؤاله .  
ومن دعاك لا تنزل قدمه ، ومن عرفك لا يضيع عمله ، ومن أحبك  
لا يتسرب الخوف إلى فؤاده .

أنت الواحد العالم القادر المريد ، صاحب العظمة المطلقة ، وصاحب  
الكمال المطلق .

روى الإمام البخارى - رضى الله عنه - عن عبد العزيز بن عبد الله ،  
حدثنا مالك عن ابن شهاب ، عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة بن  
عبد الرحمن ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ  
قال :

« يتنزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبعث  
ثلث الاليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى  
فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » .

وأخرج الإمام أبو عيسى الترمذى - رحمه الله فى جامعه - عن  
أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ -  
يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى

غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني ، غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً — لأتيتك بقرابها مغفرة » .

فأقبل يا أخى على الله لتنال محبة الله ، فلأنها درجة لا ينالها إلا عبد صالح .  
 فاللهم ارزقنا حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنا إلى حبك .  
 روى الإمام البخارى رضى الله عنه بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه — عن النبي ﷺ قال : « إذا أحب الله العبد ، نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبيه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً ، فأحبهوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » .

وفى رواية عنه عن النبي ﷺ قال . « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل — عليه السلام — فقال : إني أحب فلاناً فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادى في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبهوه ، فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل ، فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً ، فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ، ثم توضع له البغضاء في الأرض . »

إنك يا أخى يوم تنال هذه الدرجة ، وهى محبة الله لك ، فقد أصبحت فى كنف الله وستره ، فأصبح سمعك وبصرك ويدك ورجلك



وقلبك ولسانك ، كل أولئك يعملون في ذكر الله ، وفي طاعته وفي محبته ، وفي رضاه .

روى الإمام البخارى رضى الله عنه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله - عز وجل - قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » .

### الخوف من الله

ولكى يسلم الإنسان المسلم من غضب الله تعالى وعقابه لا بد أن يكون قلبه في حال خوف من الله ، حتى يكون بمنأى عن معاصيه ، فمن خاف سلم (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

روى الإمام البخارى بسنده عن أبي سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - « أن رجلاً من كان قبلكم وهبه الله مالاً ، فقال لنييه لما حضر : أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : فإنني لم أعمل خيراً قط ، فإذا مت فاحرقوني ، ثم استحقوني ، ثم ذروني في يوم عاصف ، ففعلوا ، فجمعه الله - عز وجل - فقال : ما حملك ؟ قال : مخافتك ، فتلقاه برحمته » .

## ما يرقق القلوب

إن القلوب قد تعثر بها القسوة ، وتنسابها الغفوة والغفلة ، ولا بد لها من دواء يزيل صدأ الغفلة ، وغبار القسوة ، ليظهر معدنها كريماً ، فيه بريق الإيمان والرحمة .

ومن أهم ما يرقق القلوب ، ويجلو صدأها ، ذكر الموت .

يروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها ، فقالت لها : أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ، ففعلت ذلك ، فرق قلبها ، فشكرت عائشة رضي الله عنها .

ومرض أبو الدرداء رضي الله عنه فقالوا له أى شئ تشبهه ؟ قال : الجنة ، قالوا : أندعوا لك طبيباً ؟ قال : الطيب أمرضني ، فقال له رجل من أصحابه : يا أبا الدرداء أتشهى أن أسامرك الليلة ؟ فقال له أبو الدرداء : أنت معافى وأنا مبتلى ، والعافية لا تدعك أن تسهر ، والبلاء لا يدعني أن أنام ، ثم قال : اسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر ، ولأهل البلاء الصبر .

أخا الإسلام :

وإذا ابتليت بشدة فاصبر لها      صبر الكرام فما يدوم مقامها  
فالله يبلى كى يثيب فلا تضق      ذرعاً بنازلة جرت أحكامها  
ولرب يوم نازلتك خطوبها      ثم انجلي قبل الظلام ظلامها  
ولئن جزعت فليس ذاك بنافع      إن الأمور قضى بها علامها

فاعلم يا أخا الإسلام أن الآمال تطوى ، والأموال تفضى ، والأبدان  
تحت التراب تبلى ، وأن الليل والنهار يسرعان يقربان كل بعيد ،  
ويبليان كل جديد .

أخا الإسلام : إن العبد الصالح ليعالج سكرات الموت وكرباته  
وأن مفاصله ليسلم بعضها على بعض ، تقول السلام عليك .

لما حضرت حسان بن أبي سنان الوفاة قيل له : كيف تجدك ؟  
قال بخير إن نجوت من النار . قيل له ما تشهى ؟ قال : ليلة طويلة أصلها  
كلها .

وقال عبد الله بن عتبة : عدت رجلاً مريضاً فلما قعدت عنده  
قلت له : كيف تجدك ؟ فأنشدنى :

خرجت عن الدنيا وقامت قيامتى      غداة أقل الحاملون جنازتى  
وعجل أهلى حفر قبرى وصبروا      خروجى وتعجلى إليه كرامتى  
كأنهم لم يعرفوا قط صحبتي      غداة أتى يومى على وساعتي

ودخل المزنى على الشافعى رضى الله عنه فى مرضه الذى مات فيه فقال له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال : أصبحت عن الدنيا راحلاً ، ولالإخوان مفارقاً ، ولسوء عملى ملاقياً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى ربى سبحانه وتعالى وارداً ، ولا أدرى روحى صائرة إلى الجنة فأهنيها ، أو إلى النار فأعزيها ، ثم أنشد :

ولما قسا قلبى وضافت مذاهبى      جعلت الرجا منى لعفوك سلماً  
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته      بعفوك ربى كان عفوك أعظماً  
فما زلت ذا عفوى عن الذنب      لم تزل تجود وتعفو منة وتكرماً

وجاء رجل إلى مقبرة فأخذته سنة من النوم فرأى فى منامه صاحب القبر . فقال له يا هذا : إنكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل ، والله لو تكون ركعتان فى صحيفتى أحب إلى من الدنيا وما فيها .

وقال ثابت البنانى رضى الله عنه : دخلت المقابر لأزور القبر ، وأعتبر بالموتى ، وأتفكر فى البعث والنشور ، وأعظ لنفسى لعابها ترجع عن الغنى والفجور . فوجدت أهل القبور صامتين لا يتكلمون ، وفرادى لا يتزاورون ، فأيست من مقامهم ، واعتبرت بأحوالهم ، فلما أردت الخروج إذا بصوت يقول : يا ثابت لا يغرنك صمت أهلها ، فكم من نفس معذبة فيها .

فيا أنحى انتبه من رقدة الهجوع ، وافزع إلى الله تعالى بالتضرع والخشوع ، فكأنك بالموت وقد فرق الجموع ، وأخلى القصور

والربوع ، وأمطر عليهم سحاب الدموع ، وناداهم المشوق بطرف  
باك وقلب موجوع :

|                       |                      |
|-----------------------|----------------------|
| معارف في الثرى هجوع   | فالقلب من بعدهم صدوع |
| تكدرت بعدهم حياتي     | فأوحشت منهم الربوع   |
| كانوا سرورى ونور عيني | فما لها بعدهم هجوع   |
| ماتوا فأودى لذيد عيشي | وبالأسى ذابت الضلوع  |
| يا نفس كم من جموع وصل | فرقها البين والولوع  |
| يا نفس للموت فاستعدى  | فالموت إتيانه سريع   |
| فلا عليك ولا شريف     | في الدهر يبق ولا وضع |
| ولا سعيد ولا شقى      | ولا عصى ولا مطيع     |
| يا نفس إن الأصول ماتت | فما عسى تنبت الفروع  |

قال مالك بن دينار رحمة الله عليه : أتيت القبور على سبيل الزيارة  
والتذكار ، والتفكر في الموت والاعتبار ، فتمنيت من يخبرني عنهم  
بخبر ، أو يقص لى من آثارهم بعض أثر ، فقلت بلسان أحزاني ،  
ما قدحت زناد أشجاني من الفكر :

|                      |                          |
|----------------------|--------------------------|
| أتيت القبور فناديتها | فأين المعظم والمختقر     |
| وأين المذل بسلطانه   | وأين العزيز إذا ما افتخر |

قال : فنوديت من بين القبور وأنا بالوجد مغمور :

تفانوا جميعاً فلا نخبر وماتوا جميعاً وصاروا عبر

وعادوا إلى ملك عادل عزيز مطاع إذا ما أمر  
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور  
فيا سائل عن أناس مضوا أما لك فيمن مضى معتبر  
قال مالك بن دينار : فرجعت أبكى الدموع الغزار ، واعتبرت  
بذلك أى اعتبار .

قال بعض الصالحين : زرت مرة القبور حين عج بقلبي لهيب النار ،  
فأقيمت عندها برهة من الزمان أنظر لها بعين الاعتبار ، وأناجى  
صرعاها بالعشى والإبكار ، وأجلس إليها فى الآصائل والأشجار ،  
فجال فكرى فى مجال التفكير والاعتبار ، بخطاب نظمته من محاسن  
الأشعار :

أحبابنا فارقمونا فأوحشت قلوب لنا من بعدكم وديار  
فكم قد تذاكرنا محاسن من مضى فجاءت دموع الفراق غزار  
قضوا وقضيتم ثم نقضى فلا بقا لحي وكاسات المنون تدار  
وكنا وإياكم نزور مقابرأ ومتم فزرناكم وسوف نزار  
سقت ديمة الرضوان ريسا ثراكم وسحت لها فى ساحته بحار  
فيامن ركن إلى الدنيا بإقامة وثبات ، احذر أسد الموت فإن له  
وثبات .

كيف تركن إلى اللذات وقد جاء فى طلبك الممات .

واعبر يا هذا بمصارع الهالكين ، ففهم لدى التفكير عظات .

روى الفضيل بن عياض قال : كنت آتى قبر أبي المرة والمرتين ، وأكثر زيارته ، فشيعت يوماً جنازة إلى المقبرة التى فيها أبى ، وكان ورأى شغل ، فتعجلت الرواح فلم أزره ، فلما كان الليل : رأيت فى المنام ، فقال : يا بنى إنك أتيت بالنعش ولم تأتني ، فقلت : يا أبت وإنك لتعلم بى إذا أتيتك ؟ فقال : إى والله يا بنى ، إنك لتأتيني فلا أزال أنظر إليك حين تجوز القنطرة إلى أن تصل إلى ، وتقع عندى ، ثم تقوم ، فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة .

ويروى أن فارساً مر بسلام فساله يا غلام أين العمران ؟ فقال له : اصعد الشرف ، فصعد فأشرف على مقبرة فقال : إن هذا الغلام إما جاهل أو حكيم ، فرجع إليه فقال له : سألتك عن العمران ، فدللتني على المقابر ، فقال الغلام : إني رأيت أهل تلك يتقلبون إلى هذه ، ولم أر أحداً يتقلب من هذه إلى تلك ، وإنما يتقلب من الخراب إلى العمران ، ولو سألتني عما يواريك ودابتك لدلتك . ثم أنشد :

|                              |                         |
|------------------------------|-------------------------|
| يا نفس زورى القبور واعتبريها | حيث فيهما لمن يزور عظام |
| فانظري كيف حال من حل فيها    | بعد عز وهم بها أموات    |
| حرصوا وأملوا كحرصك يا نفس    | وأوفاهم الحمام فماتوا   |
| فالسراة العظام منهم عظام     | فى بطون الثرى حطام رفات |
| فكان قد حلت فى مصرع القوم    | وحلت بجسمك المثلث       |

## نبذة عن وفاة أبي بكر الصديق رضى الله عنه

لما احتضر أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفنى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال : ليس لذا ولكن قولى : ( وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ) أنظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما ، فإن الحى إلى الجديد أحوج من الميت .

وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر : ذاك رسول الله ﷺ .

ودخلوا عليه فقالوا : ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟

قال : قد نظر إلى طبيبي ، وقال : « إني فعال لما أريد » .

ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه يعوده فقال : يا أبا بكر أوصنا . فقال : « إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك » .



وقال سعيد بن المسيب : لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله ﷺ زدنا ، فإننا نراك لما بك ، فقال أبو بكر : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الأفق المبين . قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأتهار وأشجار يغشاها كل يوم مائة رحمة ، فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا المكان : « اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ، ثم جعلتهم فريقين : فريقاً للنعيم ، وفريقاً للسرير ، فاجعلنى للنعيم ، ولا تجعلنى للسرير . اللهم إنك خلقت الخلق فرقاً ، وميزتهم قبل أن تخلقهم ، فجعلت منهم شقيماً وسعيداً ، وغوياً ورشيداً ، فلا تشقنى بمعاصيك . اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها ، فلا محيص لها مما علمت ، فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحداً لا يشاء حتى تشاء ، فاجعل مشيتك أن أشاء ما يقربنى إليك . اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك ، فاجعل حركاتى فى تقواك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به فاجعلنى من خير القسمين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً ، فاجعلنى من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيق به صدورهم ، فاشرح صدرى للإيمان وزينه فى قلبى . اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأحبنى بعد الموت حياة طيبة وقربنى إليك زلى . اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقى ورجائى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال أبو بكر : هذا كله فى كتاب الله عز وجل . »

## وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

يرحم الله شهيد الإسلام الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،  
الذى قال فيه شاعر النيل حافظ إبراهيم ، فى عمره الخالدة ، ينشد  
عدله وفضله :

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً  
بين الرعية عطلاً وهو راعياً  
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملاً  
ببردة كاد طول العهد يلبها  
وعهده بملوك الفرس أن لها  
سوراً من الجند والأحراس يحمها  
رآه مستغرقاً فى نومه فرأى  
فيه الجلالة فى أسمى معانيها  
فقال قولة حق أصبحت مثلاً  
وأصبح الجليل بعد الجليل يروها  
أمنت لما أقت العدل بينهمو  
فنت نوم قرير العين هانها

يا رافعاً راية الشورى وحارسها  
 جزاك ربك خيراً عن محبها  
 رأى الجماعة لا تشقى البلاد به  
 رغم الخلاف ، ورأى الفرد يشقىها  
 إن جاع فى شدة قوم شركهم  
 فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها  
 جوع الخليفة والدينا بقبضته  
 فى الزهد منزلة سبحان مولها  
 فن يبارى أبا حفص وسيرته  
 أو من يحاول للفاروق تشبها  
 يوم اشتت زوجه الحلوى فقال لها  
 من أين لى ثمن الحلوى فأشربها  
 ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى  
 فقوى لبيت المال رديها  
 كذاك أخلاقه كانت وما عهدت  
 بعد النبوة أخلاق تحاكها  
 قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها  
 بفضل ربك حصناً من أعاديها

### كيف استشهد عمر ؟

استشهد رضى الله عنه وهو يصلى الفجر بالمسلمين ، طعنه عبد

مجوسى اسمه أبو لؤلؤة . ولنصنع إلى الصباحى الجليل عمرو بن ميمون  
وهو يحدثنا كيف وقع ذلك . قال رضى الله عنه :

كنت قائماً غداة أصيب عمر ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباس ،  
وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما ، فإذا رأى خلا قال استوا ،  
حتى إذا لم ير فيهم خلا ، تقدم فكبر . قال : وربما قرأ سورة  
يوسف ، أو النحل ، أو نحو ذلك فى الركعة الأولى ، حتى يجتمع  
الناس ، فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول : قتلنى أو أكلنى الكلب ،  
حين طعنه أبو لؤلؤة ، وطار بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا  
أو شمالا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا ، فمات منهم تسعة ،  
وفى رواية سبعة . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين ، طرح عليه  
برنسا ، فلما ظن أبو لؤلؤة أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر رضى الله  
عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فأما من كان يلى عمر ، فقد رأى  
ما رأى ، وأما نواحي المسجد ما يدرون ما الأمر ، غير أنهم فقدوا  
صوت عمر ، وهم يقولون سبحان الله ، سبحان الله ، فصلى بهم  
عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس أنظر من  
قتلنى ، قال : فغاب ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة بن شعبة . فقال  
عمر رضى الله عنه : قاتله الله ، لقد كنت أمرت به معروفاً ، ثم قال :  
الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم .

قال عمرو بن ميمون : واحتمل عمر إلى بيته ، فانطلقنا معه ،  
وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ . قال فقائل يقول : أخاف

عليه ، وقائل يقول : لا بأس ، فأتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه ،  
فعرفوا أنه ميت . قال : فدخلنا عليه وجاء الناس يشنون عليه ، وجاء  
رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل ،  
قد كان لك صحبة من رسول الله ﷺ ، وقدم في الإسلام ،  
ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال : وددت أن ذلك  
كان كفافاً . لا على ولا لى .

فلما أدير الرجل إذا إزاره يمس الأرض ، فقال ردوا على الغلام .  
فقال يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أتى لثوبك ، وأتى لربك ، ثم قال :  
يا عبد الله أنظر ما على من الدين ، فحسبوه . فقال له أدمأ على من الدين ،  
وانطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل : عمر يقرأ عليك السلام ، ولا تقل  
أمير المؤمنين ، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل يستأذن عمر  
ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . فذهب عبد الله فسلم واستأذن ،  
ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب  
السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت كنت أريده لنفسى  
ولأثرته اليوم على نفسى . فلما أقبل ، قيل هذا عبد الله بن عمر قد  
جاء ، فقال : ارفعونى ، فأسنده رجل إليه ، فقال : ما لديك ؟  
قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين ، قد أذنت . قال . : الحمد لله  
ما كان شئ أهم إلى من ذلك . فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم ،  
وقل يستأذن عمر فإن أذنت لى فأدخلونى ، وإن ردتنى ردونى إلى  
مقابر المسلمين ، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها ، فلما  
رأيناها قننا فوجلت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فوجلت

داخلا ، فسمعنا بكاءها من داخل ، فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، فقال ما رأى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله ﷺ ، وهو عنهم راض ، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن . وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له ، فإن أصابت الامارة سعداً فذاك وإلا فليستعن به أيكم أمر ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ، وتحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً ، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم ، وأن يغفروا عن مسيئتهم وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ، فلنهم ردة الإسلام ، وجباة الأموال ، وغيبظ العدو ، وألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم ، وأوصيه بالأعراب خيراً فلنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، وأن يأخذ من حواشي أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل لهم من وراءهم ، ولا يكلفهم إلا طاقتهم .

قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي ، فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب ، فقالت أدخلوه فأدخلوه في موضع هنالك مع صاحبيه ا . هـ الحديث .

### شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر

قال رسول الله ﷺ « قال لي جبريل عليه السلام : ليك الإسلام على موت عمر » .

## شهادة على بن أبي طالب لعمر

عن ابن عباس قال : وضع عمر على سريره فتكففه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي ، فالتفت فإذا هو على بن أبي طالب رضى الله عنه ، فترحم على عمر . وقال : ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله إن كنت لأظن فيجعلنك الله مع صاحبك ، وذلك أنى كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول « ذهب أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، فإني كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما .

## وفاة عثمان بن عفان

هذا هو ذو النورين ، عثمان بن عفان ، الحبي الكريم ، الذى تزوج اثنتين من بنات رسول الله ﷺ ، السيدة رقية ، والسيدة أم كلثوم ، وقال له النبي ﷺ ، بعد وفاة أم كلثوم : لو كان عندي عشر بنات لزوجتكهن الواحدة بعد الأخرى .

وعثمان دخل التاريخ من أشرف أبوابه ، فهو الذى جاد بماله فى سبيل الله ، وفى وجوه الخير كلها .

تعالوا نستمع الآن إلى ما قاله عبد الله بن سلام رضى الله عنه  
بشأن وفاة عثمان .

قال : أتيت أخى عثمان لأسلم عليه ، وهو محصور ، فدخلت عليه  
فقال : مرحباً يا أخى ، رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى هذه  
الخوخة ، وهى خوخة فى البيت فقال : يا عثمان حصروك ، قلت نعم ،  
قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ، فأدلى إلى دلوأ فيه ماء ، فشربت حتى  
رويت ، حتى إنى لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لى : إن شئت  
نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ،  
فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه .

وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تشحط عثمان فى الموت حين  
جرح .

ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟

قالوا : سمعناه يقول : اللهم اجمع أمة محمد ﷺ ثلاثاً . قال :  
والذى نفسى بيده ، لو دعا الله ألا يجتمعوا أبداً ما اجتمعوا إلى يوم  
القيامة .



## سخاؤه وجوده

روى البخارى فى صحيحه أن عثمان رضى الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم وقال : أنشدكم ولا أنشد إلا أصحاب النبى ﷺ ، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من حفر رومة فله الجنة ، فحفرتها ؟ أستم تعلمون أنه قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ، فجهزتها ؟ قال : فصدقه بما قال .

وزاد النسائى فى روايته « فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا خطاماً » .

وفى رواية الإمام أحمد رضى الله عنه ، أن عثمان جاء بألف دينار فى ثوبه فصبتها فى حجر النبى ﷺ ، حين جهز جيش العسرة ، فقال النبى ﷺ « ما على عثمان ما فعل بعد اليوم » .

وقال الكرمانى : جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً وخمسين فرساً ، وجاء إلى النبى ﷺ بألف دينار . ولم يقف سخاء عثمان وجوده فى سبيل الله عند هذا الحد فى هذه الغزوة التى كانت تمحيصاً للإيمان ، وامتحاناً للعزائم ، فقد ورد أنه أصاب الناس فيها مجاعة ، فأووا إلى كنف عثمان فوسعهم ، واشترى لهم طعاماً أشبع الجيش كله .

ومن مآثر جوده أنه اشترى بئراً تسمى بئر رومة بعشرين ألف درهم ، وكانت هذه البئر مملوكة ليهودى يبيع ماءها للمسلمين .

روى الإمام البغوى رضى الله عنه أن المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بنى غفار ، يقال لها رومة ، وكان يبيع القرية منها بحد ، فقال النبي ﷺ : تبيعنيها بعين في الجنة ؟ فقال يا رسول الله لبس لى ولا لىعلى غيرها ، فبلغ ذلك عثمان رضى الله عنه ، فاشترأها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : أتجعل لى ما جعلته له ؟ قال : نعم ، قال عثمان : قد جعلتها للمسلمين .

وعثمان رضى الله عنه هو صاحب الأيادى البيض ، والمآثر الشاخصة فهو أول من وسع مسجد رسول الله ﷺ إجابة لرغبة النبي ﷺ ، حين ضاق المسجد بأهله .

جاء فى رواية الترمذى أن عثمان لما حوضر أشرف على الناس فقال : أنشدكم بالله والإسلام ، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ : من يشتري بقعة آل فلان فزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة ، فاشتريتها من صلب مالى ، وأنتم تمنعوننى أن أصلى فيه ركعتين ؟ قالوا : اللهم نعم .

لقد كان السخاء سجية لدى النورين رضى الله عنه ، وصفة أصيلة متأصلة فيه ، ليس فيها رياء ولا سمعة ولا تكلف فيها ولا تعمل .

جاء ناس إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقالوا : يا خليفة رسول الله إن السماء لم تمطر ، والأرض لم تنبت ، وقد توقع الناس الهلاك . قال : انصرفوا واصبروا فإنى أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم . فلما كان آخر النهار ورد الخبر أن عيراً لعثمان جاءت من الشام ، وتصبح المدينة ، فلما جاءت خرج الناس يتلقونها ، فإذا هى ألف بعير محملة برأ وزيتاً وزيبياً ، فأناخت بباب عثمان رضى الله عنه ، فلما جعلها فى داره ، جاءه التجار ، فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا إنك لتعلم ما نريد ، بعنا من هذا الذى وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس . قال حباً وكرامة . كم تربحوننى على شرائى ؟ قالوا : الدرهم درهمين . قال أعطيت زيادة على هذا ، قالوا أربعة ، قال : أعطيت زيادة على هذا ، قالوا : خمسة ، قال : أعطيت أكثر من هذا ، قالوا : يا أبا عمرو ، ما بقى فى المدينة تجار غيرنا ، وما سبقنا إليك أحد ، فمن ذا الذى أعطاك ؟ قال : إن الله أعطانى بكل درهم عشرة أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا ، قال : فإنى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه البعير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين .

### خصائص عثمان

كان عثمان رضى الله عنه أحد السابقين الأولين .

قال ابن إسحاق « أول الناس إسلاماً بعد أبى بكر وعلى وزيد بن حارثة عثمان بن عفان » .

وهو ثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وذو النورين .

انعقدت له البيعة بإجماع المسلمين بعد الشورى ، وهو صاحب الفتوحات الإسلامية الخالدة ، وهو جامع الناس على المصحف الإمام . كانت شخصية عثمان رضى الله عنه أعظم مظهر للإنسانية النبيلة ، فى أسمى جوانها ، وأصنى خصائصها ، فهى الرحمة المحسمة ، وهى الإخلاص كله ، وهى الحب للخير فى أعم نواحيه ، حباً ناطقاً .

تلاءمت هذه الشخصية الكريمة بفطرتها الرحيمة ، وروح الإسلام الجياشة بعواطف البر والرحمة ، فتفتحت لها القلوب ، وهو الرجل الذى أحبه الناس قبل الإسلام وبعده حباً لم يظفر به إلا آحاد الناس .

هذا هو عثمان وما ذكرناه عنه ما هو إلا غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، وسطر من قطر ، وجزء من كل ، وإن مثلى مع عثمان فى هذه العجالة ، كشعاع الشمس المتسلل من حنايا النافذة ، يلقي الله شهيداً ليكون مع الذين قال فيهم مولانا تبارك وتعالى ( وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ) .

فإذا كان يقول عثمان وهو يطعن بالسهم والخنجر والسيوف من أهل الفتنة الذين انساقوا وراء اليهودى عبد الله بن سبأ الذى تظاهر بالإسلام ، وأضمر فى قلبه فحيح الأفاعى ، ومكر الثعالب ، ومسكنة التماسيح ، والذى طاف أرض المسلمين مشرقاً ومغرباً يبذر فيها الفتن ،

حتى باضت وفرخت ، ووقفت أمام عثمان البريء الطاهر ، الخليفة  
المفترى عليه ، تحاصر بيته ، وتوجه إليه سهامها ، وهو يقرأ  
المصحف الشريف ، ويحنو عليه كما تحنوا الأم على رضيعها .

ماذا كان يقول عثمان والسهام تتناولوه من كل جانب ؟ كان يقول :  
لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . اللهم إني أستعديك  
عليهم ، وأستعينك على جميع أموري ، وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

يرحمك الله يا عثمان ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله  
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى  
الله الصادقين بصدقهم ) .

نشهد أنك يا عثمان حملت الأمانة بأمانة ، وتحملت الضراء ، وصبرت  
على البلاء ، فجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً . وإلى أن نلقاك  
في جوار الدائم الفرد الصمد ، فاسترح واهناً مع حبيبك وصهرك  
سيد الخلق ، وحبيب الحق محمد ﷺ .

## وفاة على كرم الله وجهه

هذا هو الشهيد ، وأبو الشهداء ، على رضى الله عنه ، ولا أجد كلمة  
أستطيع أن أقولها في هذا العبرى الفذ ، أبلغ مما قاله رسول الله ﷺ  
يوم خيبر ، عندما وقف يقول : سأعطى الراية اليوم رجلاً يحبه الله  
ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، فاشترأت أعناق الصحابة ، وكلهم

يتمنى أن يعطى الراية ، وينال هذه المكانة ، التى تشوق إليها النفوس ،  
وتشتاق لها الأرواح ، فأعطى النبي ﷺ الراية لعلى .

قال معاوية بن أبى سفيان لضرار الصداق ، وكان من أصحاب الإمام  
علی : يا ضرار صف لى علياً . قال : أعفى يا أمير المؤمنين ، قال :  
لتصفه ، قال ضرار : أما إذا لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ،  
شديد القوى ، يقول فضلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ،  
وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس  
بالليل ووحشته .

كان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب  
نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن .

كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استبأناه ، ونحن مع  
تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيئته ، ولا نبتدئه لعظمته :  
يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ،  
ولا ييأس الضعيف من عدله .

وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ،  
وغارت نجومه ، متمثلاً فى محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تملل  
السليم ، ويبكى بكاء اليتيم ، يقول : يسا دنيا غرى غرى ، ألى  
تعرضت ؟ أم إلى تشوقت ؟ هيهات . هيهات . لقد طلقتك ثلاثاً ،  
لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد  
وبعد السفر ، ووحشة الطريق .

فبكى معاوية رحمه الله وقال : يرحم الله أبا الحسن ، لقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها في حجرها .

### كيف توفي رضى الله عنه ؟

قال الأصمعي الحنظلي : لما كانت الليلة التي أصيب فيها على كرم الله وجهه ، أتاه ابن التياح ، حين طلع الفجر ، يؤذنه بالصلاة ، وهو مضطجع ، فعاد الثانية وهو كذلك ، ثم عاد الثالثة ، فقام على يمشى وهو يقول :

أشدد حيازك للموت

فإن الموت لاقبك

ولا تجزع من الموت

إذا حل بواديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة علي وزوج أمير المؤمنين عمر ، تقول : قتل زوجي أمير المؤمنين في صلاة الغداة ، وقتل أبي في صلاة الغداة .

وعن شيخ من قريش أن علياً كرم الله وجهه ، لما ضربه ابن ملحم قال : فزت ورب الكعبة

وعن محمد بن علي أنه لما ضرب علي رضي الله عنه أوصى بنيه  
ثم لم ينطق إلا بـ لا إله إلا الله حتى قبض .

\* \* \*

ذكر الرواة أن الحسن بن علي رضي الله عنه لما حضرته الوفاة ،  
دخل عليه أخوه الحسين رضي الله عنه فقال له : يا أخي لأي شيء  
تجزع ، تقدم علي رسول الله ﷺ ، وعلى علي بن أبي طالب  
وهما أبواك ، وعلى خديجة وفاطمة وهما أملك ، وعلى حمزة وجعفر  
وهما عمالك . قال : يا أخي أقدم علي أمر لم أقدم علي مثله .

وروى محمد بن الحسن رضي الله عنهما قالاً : لما نزل القوم بالحسين  
رضي الله عنه ، وأيقن أنهم قاتلوه ، قام في أصحابه خطيباً فحمد الله  
وأثنى عليه ثم قال : قد نزل من الأمر ما ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت  
وتنكرت ، وأدبر معروفها ، وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصباية  
الإناء . ألا حسبي من عيش كالمرعى الويل . ألا ترون الحق لا يعمل به ،  
والباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى ، وإني  
لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا جرمًا .

يرحم الله علياً وبنيه ، وطيب الله ثرى أهل كربلاء .

لقد كنت يا علي الرجل الذي صاهر رسول الله ، وهو خير خلق  
الله ، وتزوج فاطمة ، وهي سيدة نساء أهل الجنة ، ورزقك الله منها  
الحسن والحسين وهما سيदा شباب أهل الجنة .



ويرحمك الله يا حسين .

فنى كان عذب الروح لا من غضاضة  
ولكن كبراً أن يقال به كبر  
فنى مات بين الطعن والضرب ميتة  
تقوم مقام النصر إن فاته النصر  
وما مات حتى مات مضرب سيفه  
من الطعن واعتلت عليه القنى السمر  
تردى ثياب الموت حمراً فما دجى الليل  
إلا وهى من سندسى خضر  
إذا شجرات العرف جذت أصولها  
فنى أى فرع يوجد الورق النضر  
عليك سلام الله وقفاً فإننى  
رأيت الكريم الحر ليس له عمر  
يا على يا من أنت أول من أسلم من الصبيان ، استرح فى جوار الحق .  
( يا أيها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى  
فى عبادى وادخلى جنتى ) .

### فصل فى كلام الصالحين وهم على فراش الموت

لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال : أقعدونى ، فأقعد ،  
فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى ، وقال : تذكر ربك يا معاوية

بعد الهرم والانحطاط ، ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان ، وبكى  
حتى علا بكأوه وقال : يا رب ارحم الشيخ العاصي ، ذا القلب القاسي ،  
اللهم أقل العثرة واغفر الزلة ، وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ،  
ولم يثق بأحد سواك .

## عبد الملك بن مروان

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق  
يلوى ثوباً بيده ثم يضرب به المغسلة ، فقال عبد الملك ليتني كنت  
غسالا آكل من كسب يدي يوماً بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيئاً ،  
فبلغ ذلك أبا حازم ، فقال : الحمد لله الذي جعلهم إذا حضروهم  
الموت يتمنون ما نحن فيه . وإذا حضرونا الموت لم نتمن ما هم فيه .

وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه : كيف تجددك  
يا أمير المؤمنين ؟ قال : أجدني كما قال الله تعالى ( ولقد جئتمونا  
فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم )  
الآية ، ومات .

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، امرأة عمر بن عبد العزيز :  
كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم  
موتى ، ولو ساعة من نهار ، فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت  
من عنده ، فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب ، وهو في قبة له ،  
فسمعتة يقول ( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في

الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ( ثم هداً ، فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً ، فقلت لو صيف له : أنظر أنا ثم هو ؟ فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت .

وقيل له لما حضره الموت : اعهد يا أمير المؤمنين ، قال : أحذركم مثل مصر عى هذا فإنه لا بد لكم منه .

وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب ، فلما نظر إليه قال : أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت ، فرفع عمر بصره وقال : ولا تأمن الموت أيضاً على من لم يسق السم . قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى . قال : فتعالج يا أمير المؤمنين فإنى أخاف أن تذهب نفسك ؟ قال : ربى خير مذهب إليه ، والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته ، اللهم خر لعمر فى لقائك ، فلم يلبث إلا أياماً حتى مات .

وقيل : لما حضرته الوفاة بكى ، فقبل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ أبشر فقد أحيا الله بك سنناً ، وأظهر بك عدلاً ، فبكى ثم قال : أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق ، فو الله لو عدلت فيهم لحنت على نفسى ألا تقوم بحجتها بين يدى الله ، إلا أن يلقنها الله حجتها ،

فكيف بكثير مما ضيعنا ، وفاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات .

ولما قرب وقت موته ، قال : أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : أنا الذى أمرتني فتمصرت ، ونهيتني فعصيت ، ثلاث مرات ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحد النظر ، فقليل له فى ذلك ، فقال : إني لأرى خضرة ما هم بإنس ولا جن . ثم قبض رحمه الله .

## أقوال الأمراء عند الموت

وحكى عن هارون الرشيد أنه أنتقى أكفانه بيده عند الموت ، وكان ينظر إليها ويقول ( ما أغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه ) .

وفرش المأمون رماداً واضطجع عليه ، وكان يقول : يا من لا يزول ملكه ، ارحم من قد زال ملكه .

وكان المعتصم يقول عند موته : لو علمت أن عمرى هكذا قصير ما فعلت .

وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته ، فقبل له : لا بأس عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ليس إلا هذا وقد ذهبت الدنيا ، وأقبلت الآخرة .

وقال عمرو بن العاص عند الوفاة ، وقد نظر إلى صناديق لبيته : من يأخذها بما فيها ، ليته كان بعراً .

وقال الحجاج عند موته : اللهم اغفر لى فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لى ، فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ، ولما حكى ذلك للحسن قال : أقالها ؟ قيل : نعم قال : عسى .

## معاذ بن جبل وسلمان الفارسي

لما حضرت معاذاً رضي الله عنه الوفاة قال : اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظماً الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر . ولما اشتد به النزاع ونزع نزعاً لم ينزعه أحد ، كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال : رب ما أختقني خنقك فوعزت لك إنك تعلم أن قلبي يحبك .

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى ، فقبل له : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي جزعاً على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب . فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشرة درهماً .

## بلال بن رباح

ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته : واحزنانه . فقال : بل واطرباه غداً نلقى الأحبة ، محمداً وحزبه .

## عبد الله بن المبارك

فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال ( لمثل هذا  
فليعمل العاملون ) .

## إبراهيم النخعي

لما حضر إبراهيم النخعي الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟  
قال : أنتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة أو بالنار .

## ابن المنكدر

ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : والله  
ما أبكى لذنب أعلم أني أتيت ، ولكن أخاف أني أتيت شيئاً حسبته  
هيناً وهو عند الله عظيم .

## عامر بن عبد القيس

لما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟  
قال : ما أبكى جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن أبكى  
على ما يفوتني من ظمأ الهواجر ، وعلى قيام الليل في الشتاء :

ولما حضرت فضيلا الوفاة ، غشى عليه ، ثم فتح عينيه ، وقال :  
وابعد سفراه ، واقلة زاداه .

## ابن المبارك

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة ، قال لنصر مولاه : اجعل رأسي  
على التراب ، فبكي نصر ، فقال له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت  
ما كنت فيه من النعيم وما أنت ذا تموت فقيراً غريباً . قال : أسكت  
فإني سألت الله تعالى أن يحيني حياة الأغنياء ، وأن يميتني موت الفقراء ،  
ثم قال له : لقني ولا تعد علي ما لم أتكلم بكلام ثان .

## أبو القاسم الجنيد

دخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد في وقت نزعه ، فسلم عليه ، فلم  
يجبه ، ثم أجاب بعد ساعة وقال : اعذرني فإنني كنت في وردي ،  
ثم ولي وجهه إلى القبلة وكبر ومات .

## العارف بالله الكتاني

قيل للإمام الكتاني لما حضرته الوفاة : ما كان عملك فقال : لو  
لم يقرب أجلى ما أخبرتكم به ، وقفت على باب قلبي أربعين سنة ،  
فكلما مر فيه غير الله حججته عنه .



## يوسف بن أسباط

لما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة ، شهدته حذيفة ، فوجده قلقاً ، فقال : يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع ، فقال : يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي ، فقال حذيفة : واعجابه لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله .

## الإمام الشافعي

دخل المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه ، فقال له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولالإخوان مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقياً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله تعالى وارداً ، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها ، ثم أنشأ يقول :

ولما قسى قلبي وضائق مذاهبي  
جعلت رجائي نحو عفوك مسلماً  
تعاظمني ذنبي فلما قرنته  
بعفوك ربي كان عفوك أعظماً

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل  
تجود وتعفو منه وتكرماً

### أحمد بن خضرون

ولما حضر أحمد بن خضرون الوفاة ، سئل عن مسألة ، فدمعت  
عيناه وقال : يا بني باب كنت أدقه خمساً وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة  
لى لا أدرى أيفتح بالسعادة أو الشقاوة ، قآن لى أوآن الجواب .

### تذكرة لأولى الألباب

اعلم بأن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة ،  
فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة ، لأنهم يظنون أنهم أبدأ إلى جنازة  
غيرهم ينظرون ، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون . أو  
يحسبون ذلك ، ولكنهم على القرب لا يقدررون ، ولا يتفكرون أن  
المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون ، فبطل حسابهم ، وانقرض  
على القرب زمانهم ، فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا  
عليها ، فإنه محمول عليها على القرب ، وكأن قد ، ولعله فى غد أو  
بعد غد .

ويروى عن أبى هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال : أمضوا فإننا  
على الأثر .

وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال : اغدوا فإننا رائحون ،  
موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، يذهب الأول والآخر لا عقل له .

وقال أسيد بن حضير : ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء  
سوى ما هو منقول به وما هو صائر إليه .

ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول :  
والله لا تقر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ، ولا أعلم ما دمت حياً .  
فهكذا كان خوفهم من الموت .

والآن لا تنظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون  
ويلهون ، ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر  
أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه . ولا يتفكر  
واحد منهم إلا من شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ،  
ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى  
نسينا الله تعالى واليوم الآخر ، والأهوال التي بين أيدينا ، فصرنا نلهو  
ونغفل ونشتغل بما لا يعيننا .

فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة . فإن أحسن أحوال الحاضرين  
على الجنائز بكائهم على الميت ، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على  
الميت .

نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال : لو ترحمون  
على أنفسكم لكان خيراً لكم ، إنه نجا من أهوال ثلاثة : وجه ملك

الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الخاتمة وقد أمن .  
وقال أبو عمرو بن العلاء : جلست إلى جرير وهو يملئ على كاتبه  
شعراً ، فاطلعت جنازة فأمسك وقال : شيتنى والله هذه الجنائز ،  
وأنشأ يقول :

تروعننا الجنائز مقبلات      ونلهو حين تذهب مدبرات  
كروعة ثلة لمغار ذئب      فلما غاب عادت راتعات  
فن آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والمشى أمامها  
على هيئة التواضع .

ومن آدابه حسن الظن بالميت ، وإن كان فاسقاً ، وإساءة الظن  
بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة خطيرة لا ندرى  
حقيقتها .

قال الضحالك قلت : « يا رسول الله من أزهدهم الناس ؟ قال : من  
لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ،  
ولم يعد غداً من أيامه ، وعد نفسه من أهل القبور . »

وقيل لعلى كرم الله وجهه : ما شأنك جاورت المقبرة ؟ قال : إني  
أجدهم خير جيران . إني أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ،  
ويذكرون الآخرة .

وقال رسول الله ﷺ « ما رأيت منظراً إلا والقبر أفضح منه »

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتبكى إذا وقفت على قبر ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد » رواه الترمذى .

وقيل : إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين ، فقليل له : هذا شيء لم تكن تصنعه ، فقال : ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه ، فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما .

وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته تقول : أنا بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الغربة ، وبيت الظلمة ، هذا ما أعددت لك فما أعددت لى ؟ .

وقال أبو ذر : ألا أخبركم بيوم فقرى : يوم أضع فى قبرى .

وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ، فقليل له فى ذلك ، فقال : أجلس إلى قوم يذكرونى معادى ، وإذا قت لم يغتابونى .

وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلاً ويقول : يا أهل القبور مالى إذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول : حيل والله بينهم وبين جوابى ، وكأنى بى أكون مثلهم ، ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يا فلان ، لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره

لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتحترقه الديدان مع تغير الريح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة ، وطيب الريح ، ونقاء الثوب . قال ثم شفق شهقة خر مغشياً عليه .

وكان يزيد الرقاشي يقول أيها المقبور في حفرتي والمتخلى في القبر بوحدته ، المستأنس في بطن الأرض بأعماله ، ليت شعري بأى أعمالك استبشرت ، وبأى إخوانك اغتبطت ، ثم يبكي حتى يبل عمامته ، ثم يقول : استبشر والله بأعماله الصالحة ، واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى . وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور .

وقال حاتم الأصم . من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدع لهم ، فقد خان نفسه وخانهم .

وكان بكر العابد يقول : يا أماء ليتك كنت بي عقيماً ، إن لأبنك في القبر حبساً طويلاً ، ومن بعد ذلك منه رحيل .

وقال يحيى بن معاذ : يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام ، فانظر من أين تجيبه ، إن أجبت من دنياك ، واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها ، وإن أجبت من قبرك منعها .

وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول : ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك .

وكان عطاء السلمى إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول :  
يا أهل القبور متم فواموتاه ، وعايتم أعمالكم فواعماله ، ثم يقول :  
غداً عطاء فى القبور ، غداً عطاء فى القبور ، فلا يزال ذلك دأبه حتى  
يصبح .

وقال سفيان : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض  
الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار .

وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبراً ، فكان إذا وجد فى  
قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول : ( رب  
ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ) يرددها ثم يرد على نفسه ، ياربيع  
قد رجعتك فاعمل .

وقال أحمد بن حرب : تتعجب الأرض من رجل يمهّد مضجعه ،  
ويسوى فراشه للنوم ، فتقول : يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك ،  
وما بينى وبينك شيء .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ،  
فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال : يا ميمون هذه قبور آبائى  
بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم ، أما تراهم  
صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصابته الهوام  
مقيلاً من أبدانهم ، ثم بكى وقال : والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى  
هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

وقال ثابت البناني : دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها إذا بصوت قائل يقول : يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها :

قال مالك بن دينار : مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :  
أتيت القبور فناديتهما فأين المعظم والمحتقر  
وأين المذل بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخر  
تفانوا جميعاً فما نخبز وماتوا جميعاً ومات الخبز  
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحوا محاسن تلك الصور  
فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما مضى معتبر

### يا ابن آدم

تناجيك أجداث وهن صموت  
وسكانها تحت التراب خفوت  
أيها جامع الدنيا لغير بلاغة  
لمن تجمع الدنيا وأنت تموت  
إن الحبيب من الأحباب مختلس  
لا يمنع الموت بواب ولا حرس  
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها  
يا من يعد عليه اللفظ والنفس  
أصبحت يا غافلاً في النقص منغمساً  
وأنت دهرك في اللذات منغمس



لا يرحم الموت ذا جهل لغرته  
ولا الذى كان منه العلم يقتبس  
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به  
عن الجواب لساناً ما به خرس  
قد كان قصرك معموراً له شرف  
فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال . اللهم إني أصبحت  
أرجوك له وأخافك عليه ، فحقق رجائي وآمن خوفاً .

ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال : اللهم إني قد غفرت له ما وجب  
لى عليه ، فاغفر له ما وجب لك عليه ، فإنك أجود وأكرم .

ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال : اللهم إني قد وهبت له ما قصر  
فيه من برى ، فهب له ما قصر فيه من طاعتك .

مر أحد الصالحين بامرأة تكثر من الحمد لله وتسترجع تقول الحمد  
لله إنا لله وإنا إليه راجعون ، فسألها ماذا بك يا أمة الله ؟ فقالت له :  
يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركنى فيه أحد . قال فكيف ؟ قالت :  
إن زوجى ذبح شاة فى يوم عيد الأضحى ، وكان له صبيان مليحان  
يلعبان ، فقال أكبرهما للآخر : أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة ؟  
قال : نعم ، فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشحطاً فى دمه . فلما ارتفع  
الصراخ هرب الغلام ، فلبجأ إلى جبل ، فرهقه ذئب فأكله ، وخرج  
أبوه يطلبه فمات عطشاً من شدة الحر . قالت : فأردانى الدهر كما ترى .

## في زيارة القبور عبرة

روى على بن أبي طالب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كنت نهيتكم عن زيادة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير ألا تقولوا هجراً » رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا .

واعلم يا أخا الإسلام أن زيارة القبور مستحبة للتذكر والاعتبار بأهلها ، ومن فيها من الذين كانوا قبل ذلك ينسمون نسيم الحياة وطيب روائحها ، فأصبحوا تحت الثرى أجساداً هامدة وعظاماً نخرة ، ورفاتاً صهيقة ، وصعيداً حرزاً .

عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « زر القبور تذكر بها الآخرة » ، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة ، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين في ظل الله .

وقال ابن أبي مليكة : قال رسول الله ﷺ « زوروا موتاكم وسلموا عليهم إن لكم فيهم عبرة » .

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه .

وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » .

قال بشر بن منصور : لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز ، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ، ورحم غربتكم ، وتجاوز عن سيئاتكم ، وقبل الله حسناتكم . « لا يزيد على هذه الكلمات .

قال الرجل : فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو ، فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءوني ، فقلت ما أنتم ، وما حاجتكم ؟ قالوا : نحن أهل المقابر ، قلت : ما جاء بكم ؟ قالوا : إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت : وما هي ؟ قالوا : الدعوات التي كنت تدعو بها ، قلت فإني أعود لذلك ، فما تركتها بعد ذلك .

قال رسول الله ﷺ « ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها . وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار » .

قال أحد الصالحين : مات أخ لي فرأيت في المنام ، فقلت : ما كان حالك حيث وضعت في قبرك ؟ قال : أتاني آت بشهاب من نار ، فلو لا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضر بني به .

ولذا يستحب الدعاء للميت والاستغفار له .

اعلم يا أخا الإسلام أن القلب القاسي إذا جفا لم يلبينه إلا رسوم البلى ، وإنى لآتى القبور . فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأنى

أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة ، وإلى تلك الأجسام المتغيرة ،  
وإلى تلك الأجنان الذابلة ، فيالها من نظرة لو أشر بها العباد قلوبهم .

ما أنكر مرارتها للأنفس ، وما أشد تلفها للأبدان ! !

ومن ثم ينبغي لزائر القبور أن يستحضر من صورة الميت ما ذكره  
عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة  
الجهد والعبادة ، فقال له : يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت  
قبري وقد خرجت الحذقتان ، فسالتا على الحدين ، وتقلصت  
الشفتان عن الأسنان ، وخرج الصديد من الفم ، وانفتح الفم ونأى البطن ،  
فعلا الصدر ، وخرج الدود والصديد من المناخر ، لرأيت أعجب  
بما تراه الآن .

• • •

ويستحب الشاء على الميت وألا يذكر إلا بالجميل .

قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ « إذا مات  
صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه » .

وقال ﷺ « لا تذكرُوا أمواتكم إلا بخير ، فإنهم إن يكونوا من  
أهل الجنة تأثموا ، وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه » .

وقال أنس بن مالك « مرت جنازة على رسول الله ﷺ فآثنوا  
عليها شراً ، فقال عليه السلام : وجبت ، ومروا بأخرى فآثنوا عليها  
خيراً ، فقال رسول الله ﷺ : وجبت ، فسأله عمر عن ذلك ،

فقال : إن هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه  
شراً فوجبت له النار ، وأنتم شهداء الله في الأرض .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « إن العبد يموت فيثنى  
عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره ، فيقول الله تعالى للملائكته : أشهدكم  
أنني قد قبلت شهادة عبيدي على عبيدي وتجاوزت عن علمي في عبيدي . »

## التعلق الخامس

وهو تعلق الروح بالجسد بعد البعث ، وقد سبق لنا أن تحدثنا عن تعلقات الروح بالبدن في أربعة مواضع ، وهى تعلقها به فى الرحم ، وتعلقها به فى الدنيا ، وتعلقها به فى المنام ، وتعلقها به بعد البعث والنشور ، ولا بد لنا من مدخل نصل به إلى قضية البعث ، وهذا المدخل هو الحديث عن الموت .

### الحديث عن الموت وحقيقته إلى النفخ فى الصور

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى فى تعريف الموت : « إن الموت معناه تغير حال فقط ، وإن الروح باقية بعد مفارقة الجسد ، إما معذبة وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها لتبسطش باليد ، وتسمع بالأذن ، وتبصر بالعين ، وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب ، والقلب ههنا عبارة عن الروح ، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ، ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور ، وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء ، فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلا أن تعاد

الروح إلى الجسد ، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده ، وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهى تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه ، وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها . والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها ، وكل الأعضاء آلات ، والروح هي المستعملة لها ، وأعني بالروح المعنى الذى يدرك من الإنسان العلوم والآلام الغموم ، ولذات الأفراح . ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ، ولا بطل منها الأفراح والغموم ، ولا بطل منها قبولها للآلام والذات . والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام والذات ، وذلك لا يموت أى لا يندم . ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن ، وخروج البدن عن أن يكون آلة له ، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة ، فالموت زمانة مطلقاً في الأعضاء كلها . وحقيقة الإنسان نفسه وروحه ، وهى باقية . نعم تغير حاله من جهتين : إحداهما أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه ، وسلب منه أهله وولده ، وأقاربه وسائر معارفه ، وسلب منه خيله ودوابه وغلमानه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ، ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء ، فإن المؤلم هو الفراق ، والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل ، وتارة بأن يسبى الرجل عن الملك والمال ، والألم واحد في الحالتين ،

ولأنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم ، فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ، ويستريح إليه ، ويعتد بوجوده ، فيعظم تحسره عليه بعد الموت ، ويصعب شقاؤه في مفارقتة ، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به ، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله . ولم يأنس إلا به ، عظم نعيمه وتمت سعادته . إذ خلى بينه وبين محبوبه ، وقطعت عنه العوائق والشواغل ، إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله . فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة ، والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له في الحياة ، كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفاً له في النوم ، والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته ، وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوى في سر قلبه ، وكان يشغله على الاطلاع عليه شواغل الدنيا ، فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله ، فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسراً يوشك أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة ، وعند ذلك يقال له (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن ، وتشتعل فيه نيران الفراق ، أعنى فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية ، دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة ، فإن من طلب الزاد للبلغة ، فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقتة بقية الزاد ، إذ لم يكن



ريد الزاد لعينه ، وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة ،  
كان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه ، فقد حصل ما كان  
وده ، واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم  
عليه قبل الدفن ، ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر  
من العذاب ، وقد يعنى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن  
ليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرمة  
عتمداً على أن الملك يتساهل في أمره أو على أن الملك ليس يدرى  
ما يتعطاء من قبيح أفعاله ، فأخذه الملك بغتة ، وعرض عليه جريدة  
مددونت فيها جميع فواحشه وجنائاته ذرة ذرة ، وخطوة خطوة ،  
الملك قاهر متسلط وغبور على حرمه ، ومتنعم من الجنة على ملكه ،  
غير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه . فانظر إلى هذا المأخوذ  
كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والحجلة  
الحياء والتحسر والندم ، فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا  
لمطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به ، بل عند موته نعوذ ، بالله  
منه ، فإن الخزي والافتضاح ، وهتك السر أعظم من كل عذاب  
يحل بالجسد من الضرب بقطع وغيرها . فهذه إشارة إلى حال الميت  
عند الموت ، شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة  
لعين ، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة .

نعم لا يمكن كشف الغطا عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت  
من لا يعرف الحياة ، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها ،  
لإدراك ماهية ذاتها ، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولأن

يزيد على أن يقول : الروح من أمر ربي ، فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه ، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت .

ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة : أما الآيات فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى : ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين ... ) .

ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله ﷺ فقال : « يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ »

فقليل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات ؟ فقال ﷺ : والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرُونَ على الجواب .

فهذا نص في بقاء روح الشقي ، وبقاء إدراكها ومعرفتها ، والآية نص في أرواح الشهداء ، ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة . وقال ﷺ : « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » .

وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط ، وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعاده يتعجل عند الموت من غير تأخر ، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله .

قال النبي ﷺ : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال : هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة » .

وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال .

• • •

ولما كان هذا الموضوع الدقيق يحتاج إلى شرح وتفصيل ، فسوف نبسط الحديث فيه بإذن الله في كتابنا القادم الذى سيكون عنوانه اليوم الحق ، سائلين الله تبارك وتعالى أن يلهمنا التوفيق والعمل ، وأن يحجبنا الخذلان والزلل ، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائه .

• • •

هذا وقد فرغنا من إملاء هذا الكتاب فى الليلة السابعة عشرة من شهر ذى القعدة عام خمس وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، الموافق الليلة العشرين من شهر نوفمبر عام خمس وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد .

والله المستعان وعليه التكلان .



## الفهرس

| الموضوع                   | الصفحة | الموضوع              | الصفحة |
|---------------------------|--------|----------------------|--------|
| المقدمة                   | ٧      | البقاء لله وحده      | ٤٠     |
| التعلق الأول              | ٩      | أبو حازم وسليمان     |        |
| التعلق الثاني             | ٩      | بن عبد الملك         | ٤٥     |
| التعلق الثالث             | ١١     | حسن الظن بالله       | ٤٦     |
| التعلق الرابع             | ١١     | عثمان بن عفان يبكي   | ٤٨     |
| حديث الغزالي عن الموت     | ١٢     | اصطلحوا مع الله      | ٤٩     |
| سكرات الموت               | ١٣     | كلمات طيبة           | ٥١     |
| الأعضاء عند سكرات الموت   | ١٧     | من يموت وهو يشهد     |        |
| روية المطيع للملك الموت   | ١٩     | أن لا إله إلا الله   | ٥٣     |
| روية الملكين الحافظين     | ١٩     | الخوف من الله        | ٥٧     |
| الميت يعرف أين مقعده      | ٢٠     | ما يرقق القلوب       | ٥٨     |
| الموت حق على جميع العباد  | ٢٣     | نبذة عن وفاة أبي بكر |        |
| وفاة النبي                | ٢٤     | الصديق رضي الله عنه  | ٦٤     |
| موقف الصحابة بعد وفاة     |        | وفاة عمر بن الخطاب   |        |
| الرسول                    | ٣٤     | رضي الله تعالى عنه   | ٦٦     |
| كيف غسل رسول الله ﷺ ؟     | ٣٧     | كيف استشهد عمر ؟     | ٦٧     |
| لنا في موت رسول الله عبرة | ٣٧     | شهادة النبي ﷺ لعمر   | ٧٠     |

## الفهرس

| الموضوع                     | الصفحة | الموضوع                 | الصفحة |
|-----------------------------|--------|-------------------------|--------|
| شهادة على ابن أبي طالب لعمر | ٧١     | عامر بن عبد القيس       | ٨٧     |
| وفاة عثمان بن عفان          | ٧١     | ابن المبارك             | ٨٨     |
| سناؤه وجوده                 | ٧٣     | أبو القاسم الجنيد       | ٨٨     |
| خصائص عثمان                 | ٧٥     | العارف بالله الكتاني    | ٨٨     |
| وفاة على كرم الله وجهه      | ٧٧     | يوسف بن أسباط           | ٨٩     |
| كيف توفي رضى الله عنه       | ٧٩     | الإمام الشافعى          | ٨٩     |
| فصل فى كلام الصالحين وهم    |        | أحمد بن خضرون           | ٩٠     |
| على فراش الموت              | ٨١     | تذكرة لأولى الألباب     | ٩٠     |
| عبد الملك بن مروان          | ٨٢     | يا ابن آدم              | ٩٦     |
| معاذ بن جبل وسلمان الفارسي  | ٨٦     | فى زيارة القبور عبرة    | ٩٨     |
| بلال بن رباح                | ٨٦     | التعلق الخامس           | ١٠٢    |
| عبد الله بن المبارك         | ٨٧     | الحديث عن الموت وحقيقته |        |
| إبراهيم النخعى              | ٨٧     | إلى النفخ فى الصور      | ١٠٢    |
| ابن المنكدر                 | ٨٧     | الفهرس                  | ١٠٩    |

رقم الايداع ٧٩/٣٧٥٣  
الترقيم الدولي ٧٠٤٩ - ٥٦ ISBN

مطابع  
المكتب المصري الحديث